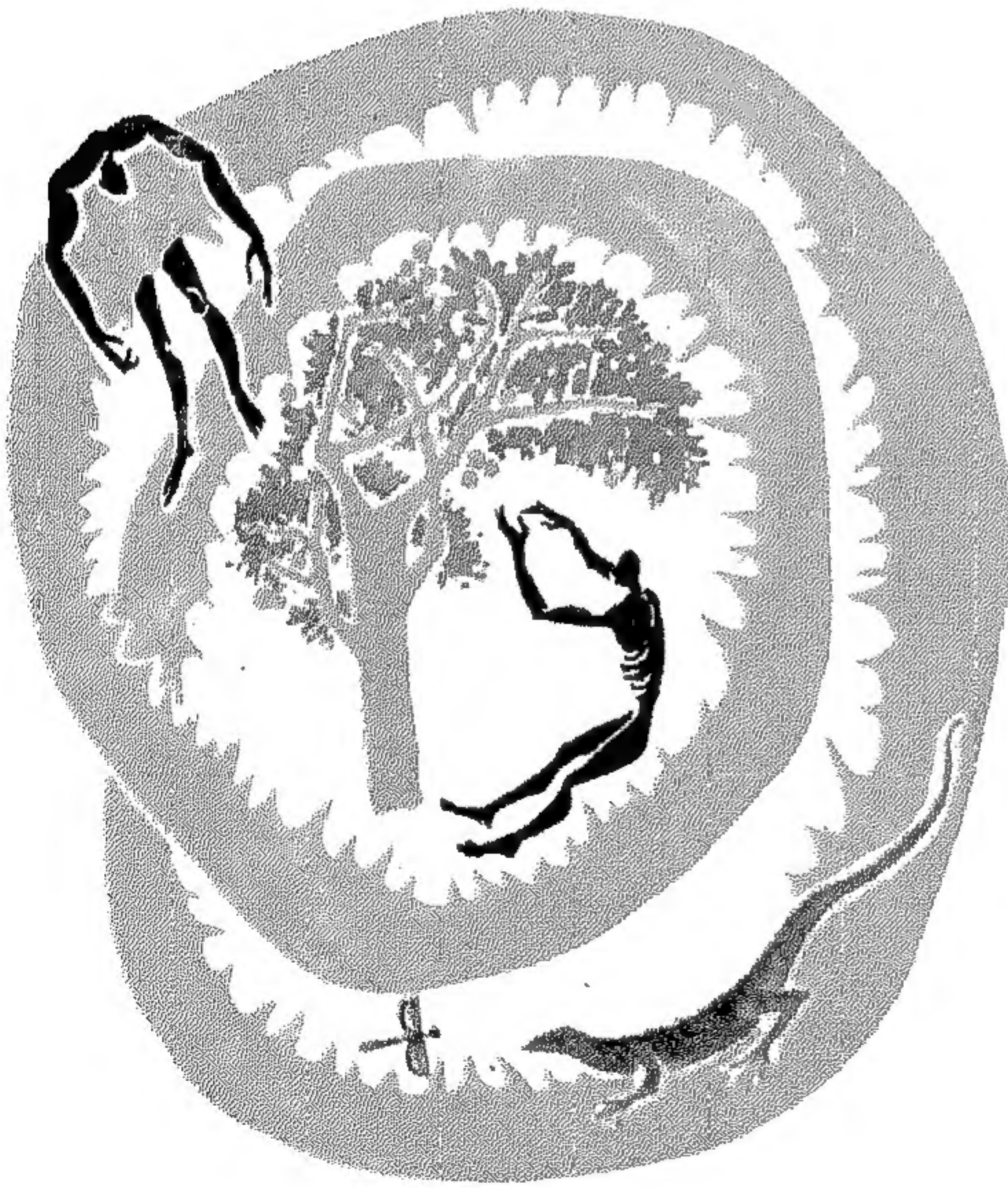


مصطفى محمود

حسين وار مع صديقي الملحد



حصـ وار

مع صديقي الملحد

مصطفى محمود

الغلاف

للفنان هيئة عنايت

الطبعة الاولى

اكتوبر ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

● لم يلد ولم يولد

صديقي رجل يحب الجدال ويهوى الكلام وهو يعتقد أننا نحن المؤمنون السذج نقنات بالاهام ونضحك على أنفسنا بالجنة والخور العين وتفوتنا لذات الدنيا ومفاتها ٠٠ وصديقي بهذه المناسبة تخرج من فرنسا وحصل على دكتوراه وعاش مع الهيبيز وأصبح ينكر كل شيء .

قال لي ساخرا :

« أنتم تقولون : ان الله موجود ، وعمدة براهينكم هو قانون السببية » الذي ينص على أن لكل صنعة صانعا ولكل خلق خالقا ولكل وجود موجد ٠٠ النسيج يدل على النساج والرسم على الرسام والنقش على النقاش والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الاله القدير الذي خلقه .

صدقنا وآمنا بهذا الخالق ٠٠ ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل ٠٠ ومن خلق الخالق ٠٠ من خلق الله الذي تحدثونا عنه ٠٠ ألا تقودنا نفس استدلالكم الى هذا ٠٠ وتبعا لنفس قانون السببية ٠٠ ما رأيكم في هذا المطب دام فضلكم ؟
ونحن نقول له : سؤالك فاسد ٠٠ ولا مطب ولا حاجة فأنت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه ؟! فتجعل منه

خالفا ومخلوقا في نفس الجملة وهذا تناقض
والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق
لقوانين مخلوقاته .. فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان
والمكان .

والله الذي خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان
والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان
ولا بقوانين الزمان والمكان .

والله هو الذي خلق قانون السببية فلا يجوز أن نتصوره
خاضعا لقانون السببية الذي خلقه .

وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمبلك
وتتصور أن الانسان الذي صنعها لا بد هو الآخر يتحرك
بزمبلك .. فاذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه ..
فالت : مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه .. انى أرى
فى عالمى كل شيء يتحرك بزمبلك .

وأنت بالمنزل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد ..
لحرد أنك ترى كل شيء حولك فى حاجة الى موجد .

وانب كمن يظن أن الله محتاج الى براشوت لينزل على
البسر والى أتوبيس سريع لبصل الى أنبيائه ، سبحانه وتعالى
عن هذه الاوصاف علوا كبيرا .

« وعمانويل كانت » الفيلسوف الالماني فى كتابه
« نقد العقل الخالص » أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط
بالحقائق اللامحدودة وأنه مهيا بطبيعته لادراك الجزئيات فقط
بيسما هو قاصر عن ادراك الوجود الكلى مثل الوجود الالهى ..
وانما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل .. شوقنا الى العدل
كان دليلا على وجود العادل .. كما أن ظمأنا الى الماء هو
دليلنا على وجود الماء .

أما أرسطو فقد استنرد فى تسلسل الاسباب قائلا :
إن الكرسي من الخشب والخشب من الشجرة والشجرة من
البذرة والبذرة من الراعى .. واضطر الى القول بأن هذا

الاستطراد المتسلسل في الزمن اللانهائي لا بد وأن ينتهي بنا في البدء الاول الى سبب في غير حاجة الى سبب .. سبب أول أو محرك أول في غير حاجة الى من يحركه .. خالق في غير حاجة الى خالق .. وهو نفس ما نقوله عن الله .

أما ابن عربي فكان رده على هذا السؤال (سؤال من خلق الخالق) .. بأنه سؤال لا يرد الا على عقل فاسد ..

فإن الله هو الذي يبرهن على الوجود ولا يصح أن نتخذ من الوجود برهاناً على الله .. تماماً كما نقول أن النور يبرهن على النهار .. ونعكس الآية لو قلنا ان النهار يبرهن على النور .

يقول الله في حديث قدسي :

(انا يستدل بي .. انا لا يستدل علي) .

فإن الله هو الدليل الذي لا يحتاج الى دليل لان الله هو الحق الواضح بذاته .. وهو الحجة على كل شيء .. الله ظاهر في النظام والدقة والجمال والاحكام .. في ورقة الشجر .. في ريشة الطاووس في جناح الفراش .. في عطر الورد .. في صدح الببل .. في ترابط النجوم والكواكب في هذا القصيد السيمفوني الذي اسمه الكون .. لو قلنا ان كل هذا جاء صدفة .. لكنا كمن يتصور أن لقاء حروف مطبوعة في الهواء يمكن أن يؤدي الى تجمعها تلقائياً على شكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف .

والقرآن يغنينا عن هذه المجادلات بكلمات قليلة وبليغة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف :

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ويسألنا صاحبنا ساخراً .. ولماذا نقولون أن الله واحد .. لماذا لا يكون الالهة متعددين .. يتوزعون بينهم الاختصاصات .

وسوف نرد عليه بالمنطق الذي يعترف به .. بالعلم
وليس بالقرآن .

سوف نقول له ان الخالق واحد لان الكون كله مبنى من
خامة واحدة وبخطة واحدة .. فمن الايدروجين تألفت العناصر
الاثنان والتسعون التى فى جدول مندليف بنفس الطريقة
« بالإدماج » وإطلاق الطاقة الذرية التى تتأجج بها النجوم
وتشتعل الشمس فى فضاء الكون .

كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون (جميع
صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق) على مقتضى خطة تشريحية
واحدة . تشريح الضفدعة والارنب والحمامة والتمساح
والزرافة والحوت يكشف عن خطة تشريحية واحدة نفس
الشرابين والاوردة وغرفات القلب .. ونفس العظام كل عظمة
لها نظيرتها .. الجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدعة ..
نفس العظام مع تحور طفيف .. والعنق فى الزرافة على طوله
نجد فيه نفس الفقرات السبع التى نجدها فى عنق القنفذ ..
والجهاز العصبى هو هو فى الجميع يتألف من مخ وحبل شوكة
وأعصاب حس وأعصاب حركة .. والجهاز الهضمى من معدة
« اثنا عشر » وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة .. والجهاز التناسلى
نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها .. والجهاز البولى ،
الكلىة والحالب ، وحويصلة البول .. ثم الوحدة التشريحية فى
الجميع هى الخلية .. وهى فى النبات كما فى الحيوان كما فى
الانسان نفس المواصفات .. تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد
بنفس الطريقة .

فأية غرابة بعد هذا أن نقول أن الخالق واحد .

ولماذا يتعدد الكامل .. وهل به نقص ليجتاح الى من يكمله .
انما يتعدد الناقصون .

ولو تعدد الالهة لاختلفوا ولذهب كل اله بما خلق
وافسدت الارض .

والله له الكبرياء والجبروت وهذه صفات لا تحتل الشركة .

ويسخر صاحبنا من معنى الربوبية كما نفهمه .. ويقول
ليس عجيبا ذلك الرب الذى يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة
فيأخذ بناصية الدابة ويوحى الى النحل أن تتخذ من الجبال
بيوتا .. وما تسقط من ورقة الا يعلمها .. وما تخرج من
ثمرات من اكمامها الا احصاها عددا .. وما تحمل من أنثى
ولا تضع الا يعلمه .. اذا عثرت قدم فى حفرة فهو الذى
أعثرها .. واذا سقطت ذبابة فى طعام فهو الذى أسقطها ..
واذا تعطلت الحرارة فى تليفون فهو الذى عطّلها .. واذا امتنع
المطر فهو الذى منعه واذا هطل فهو الذى أمطله .. الا تشغلون
الهمكم بالكثير التافه من الامور بهذا الفهم .

ولا أفهم أيكون الرب فى نظر السائل أجدر بالربوبية لو
انه أعفى نفسه من هذه المسئوليات وأخذ أجازة وأدار ظهره
للكون الذى خلقه وتركه يأكل بعضه بعضا .

هل الرب الجدير فى نظره هو رب عاطل مغمى عليه
لا يسمع ولا يرى ولا يستجيب ولا يعتنى بمخلوقاته . ثم من
أين للسائل بالعلم بأن موضوعا ما تافه لا يستحق تدخل الاله
وموضوعا آخر مهم وخطير الشأن .

ان الذبابة التى تبسو تافهة فى نظر السائل فلا بهم فى
نظره ان تسقط فى الطعام او لا تسقط هذه الذبابة يمكن ان
تغير التاريخ بسقوطها التافه ذلك .. فانها يمكن ان تنقذ
الكوليرا الى جيش وتكسب معركة لطرف آخر تنغير بعدها
موازين التاريخ كله .

الم تقتل الاسكندر الاكبر بعوضة .
ان أتفه المقدمات ممكن أن تؤدي الى اخطر النتائج ..
واخطر المقدمات ممكن أن تنتهى الى لا شئ .. وعالم الغيب
وحده هو الذى يعلم قيمة كل شئ .

وهل تصور السائل نفسه وصيا على الله يحدد له
اختصاصاته .. تقدس وتنزه وبنا عن هذا النصور الساذج .
انما الاله الجدير بالالوهية هنا هو الاله الذى أحاط بكل
شئ علما .. لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .
الاله السميع المجيب المعتنى بمخلوقاته .

● إذا كان الله قد رعى

أفعالي فلماذا يحاسبني؟

قال صديقي في شماعة وقد تصور أنه أمسكني من عنقي
وأنه لا مهرب لي هذه المرة .
- انتم تقولون ان الله يجرى كل شيء في مملكته بقضائه
وقدر وان الله قدر علينا أفعالنا ، فإذا كان هذا هو حالى ..
وان افعالى كلها مقدرة عنده فلماذا يحاسبنى عليها .
لا تقل لى كعادتك .. أنا مخير .. فليس هناك فرية اكبر
من هذه الفرية .
ودعنى أسالك .
هل خيرت فى ميلادى وجنسى وطولى وعرضى ولونى
ووطنى ؟؟
هل باختيارى تشرق الشمس ويغرب القمر ؟؟
هل باختيارى ينزل على المضاء ويفاجئنى الموت وأقع فى
المأساة فلا أجد مخرجاً الا الجريمة .. لماذا يكرهنى الله على
فعل ثم يؤاخذنى عليه ؟
واذا قلت انك حر وان لك مشيئة الى جوار مشيئة الله
ألا تشرك بهذا الكلام وتقع فى تعدد المشيئات .

ثم ما أقولك في حكم البيئة والظروف وفي الحتميات التي
يقول بها الماديون التاريخيون .
أطلق صاحبى هذه الرصاصات ثم راح يتنفس الصعداء في
راحة وقد تصور انى توفيت وانتهيت ولم يبق أمامه
الا استحضار الكفن .
قلت له في هدوء :

— أنت واقع في عدة مغالطات . . فافعالك معلومة عند الله
في كتابه ، ولكنها ليست مقدورة عليك بالاكراه . . انها مقدرة
في علمه فقط . . كما تفكر أنت بعلمك ان ابنك سرب
يزنى . . ثم يحدث ان يزنى بالفعل . . فهل اكرهته . . أم
كان هذا تقديرا في العلم وقد أصاب علمك .
أما كلامك عن الحرية بأنها فرية وتدليك على ذلك بأنك لم
تخير في ميلادك ولا في جنسك ولا في طولك ولا في لونك ولا
في موطنك . . وانك لا تملك نقل الشمس من مكانها . . فهو
تخليط آخر .

وسبب التخليط هذه المرة أنك تتصور الحرية بطريقة غير
تلك التي نتصورها نحن المؤمنون .
أنت تتكلم عن حرية مطلقة . . فتقول . . أكنب أستطيع ان
أخلق نفسى أبيض أو أسود أو طويلا أو قصيرا . . هل
بإمكانى أن أنقل الشمس من مكانها أو أوقفها في مدارها . .
أين حريتى .

ونحن نقول له . . أنت تسأل عن حرية مطلقة . .
التصرف في الكون وهذه ملك لله وحده . . نحن أيضا لا نرى
بهذه الحرية :

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان أهم الحسرة)
٦/٨ - الشمس

ليس لاحد الخيرة في مسألة الخلق لان الله هو الذى يخلق
ما يشاء ويختار .

ولن يحاسبك الله على قصرك ولن يعاقبك على طولك ولن يعاقبك لأنك لم توقف الشمس في مدارها .
ولكن مجال المسألة هو مجال التكليف . . وأنت في هذا المجال حر . . وهذه هي الحدود التي نتكلم فيها .
أنت حر في أن تقمع شهوتك وتلجم غضبك وتقاوم نفسك وتزجر نياتك الشريرة وتشجع ميولك الحيرة .

أنت تستطيع أن تجود بمالك ونفسك .
أنت تستطيع أن تصدق وأن تكذب .
وتستطيع أن تكف يدك عن المال الحرام .
وتستطيع أن تكف بصرك عن عورات الآخرين .
وتستطيع أن تمسك لسانك عن السباب والغيبة والنميمة .
في هذا المجال نحن احرار .
وفي هذا المجال نحاسب ونسأل .

الحرية التي يدور حولها البحث هي الحرية النسبية وليست الحرية المطلقة . حرية الانسان في مجال التكليف .
وهذه الحرية حقيفة ودليلنا عليها هو شعورنا الفطري بها في داخلنا . . فنحن نشعر بالمسئولية وبالندم على الخطأ وبالراحة للعمل الطيب . . ونحن نشعر في كل لحظة أننا نختار ونوازن بين احتمالات متعددة . بل ان وظيفة عقلنا الاولى هي الترجيح والاختيار بين البديلات .
ونحن نفرق بشكل واضح وحاسم بين يدنا ترتعش بالحمل ويدنا وهي تكتب خطابا . . فنقول ان الحركة الاولى جبرية قهرية والحركة الثانية حرة اختيارية . . ولو كنا مسيرين في الحالتين لما استطعنا التفرقة .

ويؤكد هذه الحرية ما نشعر به من استحالة اكراد القلب على شيء لا يرضاه تحت أي ضغط . فيمكنك ان تكره امرأة بالتهديد والضرب على ان تخلع ثيابها . . ولكنك لاتسنتطع بأي ضغط او تهديد ان نجعلها تحبك من قنبها . . ومعنى هذا ان الله

أعنتق قلوبنا من كل صنوف الاكسراء والاجبار وانه فطرها
حررة .

ولهذا جعل الله القلب والنية عمدة الاحكام ، فالمؤمن الذي
ينطق بعبارة الشرك والكفر تحت التهديد والتعذيب لا يحاسب
على ذلك طالما ان قلبه من الداخل مطمئن بالايمان وقد استثناه
الله من المؤاخذه في قوله :

(الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان) ١٠٦ - النحل

والوجه الآخر من الخلط في هذه المسألة ان بعض الناس
يفهم حرية الانسان بأنها علو على المشيئة وانفراد بالامر فينهم
القائلين بالحرية بانهم اشركوا بالله وجعلوا له اندادا يأمررون
كأمره ويحكمون كحكمه وهذا ما فهمه أنت أيضا . . فقلت
بتعدد المشيئات . . وهو فهم خاطئ . . فالحرية الانسانية
لا تعلو على المشيئة الالهية . .

ان الانسان قد يفعل بحريته ما ينافي الرضا الالهي ولكنه
لا يستطيع ان يفعل ما ينافي المشيئة .

الله اعطانا الحرية ان نعلو على رضاه (فنعصيه) ، ولكن
لم يعط احدا الحرية في ان يعلو على مشيئته . . وهنا وجه
آخر من وجوه نسبية الحرية الانسانية .

وكل ما يحدث منا داخل في المشيئة الالهية وضمنها وان
خالف الرضا الالهي وجانب الشريعة .

وحريننا ذاتها كانت منحة الهية وهبة منحها لنا الخالق
باختياره . . ولم نأخذها منه كرها ولا غصبا .

ان حريتنا كانت عين مشيئته .

ومن هنا معنى الآية :

(وما تشاؤون الا ان يشاء الله) ٣٠ - الانسان

لان مشيئتنا ضمن مشيئته . . ومنحة منه . . وهبة ممن
كرمه وفضله . . فهي ضمن ارادته ، لائتائية ولا تناقض . .
ولامنافسة منا لامر الله وحكمه .

والقول بالحرية بهذا المعنى لا ينافي التوحيد . ولا يجعل له

اندادا يحكمون كحكمه ويأمرون كأمره . . فان حرياتنا كانت
عين أمره ومشيتته وحكمه .

والوجه الثالث للخلط أن بعض من تناولوا مسألة القضاء
والقدر والتسيير والتخير . . فهموا القضاء والقدر بأنه اكراه
للإنسان على غير طبعه وطبيعته وهذا خطأ وقعت فيه أنت
أيضا . . وقد نفى الله عن نفسه الاكراه بآيات صريحة :

(ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم
لها خاضعين) ٤ - الشعراء

والمعنى واضح . . انه كان من الممكن أن نكره الناس على
الابحاث والآيات الملزمة ولكننا لم نفعل . . لانه ليس في سنننا
الاكراه .

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ٢٥٦ - البقرة
(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ٩٩ - يونس
ليس في سنة الله الاكراه .

والقضاء والقدر لا يصح ان يفهم انه اكراه للناس على غير
طبعائهم . . وانما على العكس ، الله يقضى على كل انسان من
جنس نيته ويتشاء له من جنس مشيئته ويريد له من جنس
ارادته ، لاثباتية . . تسيير الله هو عين تخيير العبد لان الله
يسر كل امرئ على هوى قلبه وعلى مقتضى نيته .

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان
يزيد حرث الدنيا نؤته منها) ٢٠ - الشورى

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) ١٠ - البقرة

(والذين اهتدوا زادهم هدى) ١٧ - محمد

وهو يخاطب الاسرى في القرآن .

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم)
٧٠ - الانفال

ان الله يقضى ويقدر ويجرى قضاءه وقدره على مقتضى النية
والعمل . . ان شرا بشر وأن خيرا بخير .

ومعنى هذا انه لاثنائية .. التسيير هو عين التخيير
ولا ثنائية ولا تناقض .

الله يسيرنا الى ما اخترناه بقلوبنا ونياتنا فلا ظلم ولا اكراه
ولا جبر .. ولا قهر لنا على غير طبايعنا .

(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بغل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

٥ - ١٠ - الليل

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ١٧ - الانفال

هنا تلتقى رمية العبد والرمية المقدرة من الرب فتكون رمية
واحدة .. وهذا مفتاح لغز القضاء والقدر .. على العبد النية

وعلى الله التمكين ان خيرا بخير وان شرا بشر .

والحرية الانسانية ليست مقدارا ثابتا ولكنها قدرة نسبية
قابلة للزيادة .

الانسان يستطيع ان يزيد من حريته بالعلم .. باختراع
الوسائل والادوات والمواصلات استطاع الانسان ان يطوى
الارض ويهزم المسافات ويخترق قيود الزمان والمكان ..
وبدراسة قوانين البيئة استطاع ان يتحكم فيها ويسخرها
لخدمته وعرف كيف يهزم الحر والبرد والظلام وبذلك
يضعف من حرياته في مجال الفعل .

العلم كان وسيلة الى كسر القيود والاغلال واطلاق الحرية .
اما الوسيلة الثانية فكانت الدين .. الاستمداد من الله
بالتقرب منه .. والاخذ عنه بالوحي والتلقى والتأييد .. وهذه
وسيلة الانبياء ومن في دربهم .

سخر سليمان الجن وركب الريح وكلم الطير بمعونة الله
ومدده .. وشق موسى البحر .. واحيا المسيح الموتى ومشى
على الماء وابرا الاكمة والابرص والاعمى .

ونقرأ عن الاولياء اصحاب الكرامات الذين تطوى لهم الارض
وتكشف لهم المغيبات .

وهي درجات من الحرية اكتسبوها بالاجتهاد في العبادة

والنقرب الى الله والتعجب اليه .. فأفاض عليهم من علمه
المكنون .

انه العلم مرة أخرى .

ولكنه هذه المرة العلم « اللدنى » .

ولهذا يلخص أبو حامد الفزالي مشكلة المخير والمسير قائلا في
كلمتين :

الانسان مخير فيما يعلم ..

مسير فيما لا يعلم ..

وهو يعنى بهذا انه كلما اتسع علمه كلما اتسع مجال
حريته .. سواء كان العلم المقصود هو العلم الموضوعى أو
العلم اللدنى .

ويحطى المكرون الماديون أشد الخطأ حينما يتصورون
الانسان أسير الحتميات التاريخية والطبقية ويجعلون منه
حلقة فى سلسلة من الحلقات لا فكاك له ولا مهرب من
تخضوع لقوانين الاقتصاد وحركة المجتمع وكأنما هو قشة
فى تيار بلا ذراعين وبلا ارادة ..

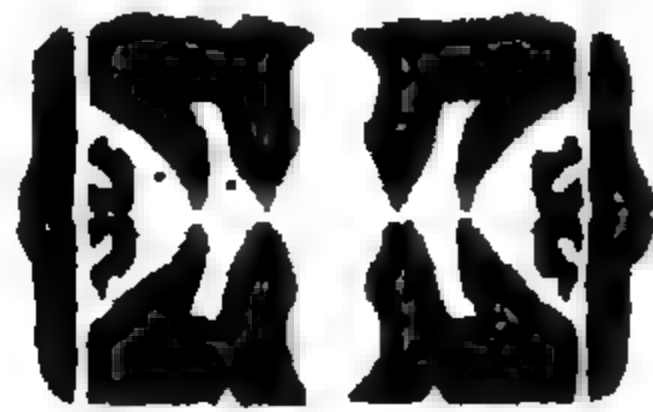
والكلمة التى يرددونها ولا يتعبون من ترديدها وكأنها
فانون .. ، حتمية الصراع الطبقي ، .. هى كلمة خاطئة فى
التحليل العلمى .. لانه لا حتميات فى المجال الانسانى ..
واسما على الاكثر ترجيحات واحتمالات .. وهذا هو الفرق بين
الانسان .. وبين التروس والآلات والاجسام المادية .. فيمكن
السمو بحسوف الشمس بالدقيقة والثانية ويمكن التنبؤ
بحركاتها المستقبلية على مدى أيام وسنين .. اما الانسان
فلا يمكن ان يعلم احد ماذا يضر وماذا يخبىء فى نياته وماذا
يفعل غدا أو بعد غد .. ولا يمكن معرفة هذا الا على سبيل
الاحتمال والترجيح والتخمين وذلك على فرض توفر المعلومات
الكافية للمحكم .

وفد أخطأت جميع تنبؤات كارل ماركس فلم تبدأ الشيوعية

في بلد متقدم كما تنبأ بل في بلد متخلف . ولم يتفاهم الصراع بين الرأسمالية والشيوعية بل تقارب الاثنان الى حالة من التعايش السلمي وأكثر من هذا فتحت البلاد الشيوعية ابوابها لرأس المال الأمريكي . . . ولم تتصاعد التناقضات في المجتمع الرأسمالي الى الافلاس الذي توقعه كارل ماركس بل على العكس ازدهر الاقتصاد الرأسمالي ووقع الشقاق والخلاف بين أطراف المعسكر الاشتراكي ذاته .

أخطأت حسابات ماركس جميعها دالة بذلك على خطأ منهجه المحتمى . . . ورأينا صراع العصر الذي يحرك التاريخ عصر الصراع اللاتبعي بين الصين وروسيا وليس الصراع الطبقي الذي جعله ماركس عنوان منهجه . . . وكلها شواهد غل فخل الفكر المادي في فهم الانسان والتاريخ وتخطئه في حساب المستقبل . . . وجاء كل ذلك نتيجة خطأ جوهرى . . . ان الفكر المادي تصور ان الانسان ذبابة في شبكة من الحتميات . . . ونسى تماما ان الانسان حر . . . وان حريته حقيقة .

اما كلام الماديين عن حكم البيئة والمجتمع والظروف وان الانسان لا يعيش وحده ولا يتحرك حريته في فراغ . . . نقول ردا على هذا الكلام ان حكم البيئة والمجتمع والظروف كمقاومات للحرية الفردية يؤكد المعنى الجدلي لهذه الحرية ولا ينفي . . . فالحرية الفردية لا تؤكد ذاتها الا في وجه مقاومة لرححها . . . اما اذا كان الانسان يتحرك في فراغ بلا مقاومة من أى نوع فانه لا يكون حرا بالمعنى المفهوم للحرية لانه لن تكون هناك عمة يتطلب عليها ويؤكد حريته من خلالها .



● لماذا خلق الله الشر؟

قال صاحبى ساخرًا :
كيف تزعمون أن الهكم كامل ورحمن ورحيم وكريم وودود
وهو قد خلق كل هذه الشرور في العالم... المرض والشيخوخة
والموت والبرص والبركان والميكروب والسم والحرق والزهرير
والأم السرطان التي لا تسمى الطفل الوليد ولا الشيخ الطاعن .
إذا كان الله محبة وجمالًا وخيرًا فكيف يخلق الكراهية
والتبجح والشر .
والمشكلة التي أثارها صاحبى من المشاكل الأساسية في
الفلسفة وقد انقسمت حولها مدارس الفكر واختلفت حولها
الآراء .
ونحن نقول : إن الله كله رحمة وكله خير وأنه لم يأمر
بالشر ولكنه سمح به حكمة .
(إن الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون .
فل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)
٢٨ - الاعراف
الله لا يأمر إلا بالعدل والمحبة والاحسان والعفو والخير وهو
لا يرضى إلا بالطيب .

فلماذا ترك الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق .
لان الله أرادنا أحرارا . . والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى
للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب . .
والاختيار الحر بين المعصية والطاعة .

وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعا أحيارا وذلك بأن
يقهرنا على الطاعة قهرا وكان ذلك يقتضى أن يسلبنا حرية
الاختيار .

وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الألم أكرم للانسان
من العبودية مع السعادة . . ولهذا تركنا نخطئ ونتألم ونتعلم
وهذه هي الحكمة في سماحه بالشر .

ومع ذلك فان النظر المنصف المتحايد سوف يكشف لنا أن
الخير في الوجود هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء . .
فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء ونحن نقضى معظم سنوات
عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض الا اياما قليلة . . وبالمثل
الزلازل هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الارضية
الذى يحصى بملايين السنين وكذلك البراكين وكذلك الحروب
هي تشنجات قصيرة في حياة الامم بين فترات سلام
طويلة ممتدة .

ثم اننا نرى لكل شى وجه خير فالمرض يخلف وقاية والألم
يربى الصلابة والجلد والتحمل والزلازل تنفس عن الضغط
المكبوت في داخل الكرة الارضية وتحصى القشرة الارضية من
الانفجار وتعيد الجبال الى أماكنها كأحزمة وثقلات تثبت
القشرة الارضية في مكانها . والبراكين تنفث المعادن والثروات
الخبيثة الباطنة وتكسو الارض بتربة بركانية خصبة . .
والحروب تدمج الامم وتلقح بينها وتجمعها في كتل وأحلاف
ثم في عصبة أمم ثم في مجلس أمم هو بمثابة محكمة عالمية
لمتشاكلي والتصالح . . وأعظم الاخراعات خرجت أتسا
الحروب . . المنسحب الذرة الصواريخ الطائرات النفاثة كلها
خرجت من آتون الحروب .
ومن سم الثعبان يخرج الترياق .

ومن الميكروب نصنع اللقاح .
ولولا أن أجدادنا ماتوا لما كنا الآن في مناصبنا . والشر
في الكون كالظل في الصورة اذا اقتربت منه خيل اليك انه
عييب ونقص في الصورة . . ولكن اذا ابتعدت ونظرت الى
الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت انه ضرورى ولا غنى عنه
وانه يؤدي وظيفة جمالية في البناء العام للصورة .
وهل كان يمكننا أن نعرف الصحة لولا المرض . . ان الصحة
نظل تاجا على رؤوسنا لا نراه ولا نعرفه الا حينما نمرض .
وبالمثل ما كان ممكنا أن نعرف الجمال لولا القبح ولا الوضع
الطبيعى لولا الوضع الشاذ .
ولهذا يقول الفيلسوف ابو حامد الغزالي : ان نقص الكون
هو عين كماله مثل اعوجاج القوس هو عين صلاحيته ولو انه
استقام لما رمى .

وظيفة أخرى للمشقات والآلام . . انها هي التي تفرز
الناس وتكشف معادنهم .

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والاقدام قتال
انها الامتحان الذي نعرف به أنفسنا . . . والابتلاء الذي
تعدد به مراقبنا عند الله .

ثم ان الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية
سوف تتعدد فصولها فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها .
ولا يجوز أن نحكم على مسرحية من فصل واحد ولا أن
نرفض كتابا لان الصفحة الاولى لم تعجبنا .
الحكم هنا ناقص .

ولا يمكن استطلاع الحكمة كلها الا في آخر المطاف . . ثم
ما هو البديل الذي يتصوره السائل الذي يسخر منا .
هل يريد أن يعيش حياة بلا موت بلا مرض بلا شيخوخة
بلا نقص بلا عجز بلا قيود بلا أحزان بلا آلام . .
هل يطلب كمالا مطلقا .
ولكن الكمال المطلق لله .

والكامل واحد لا يتعدد .. ولماذا يتعدد .. وماذا ينقصه
ليجده . في واحد آخر غيره .
معنى هذا أن صاحبنا لن يرضيه إلا أن يكون هو الله ذاته
وهو التناول بعينه .

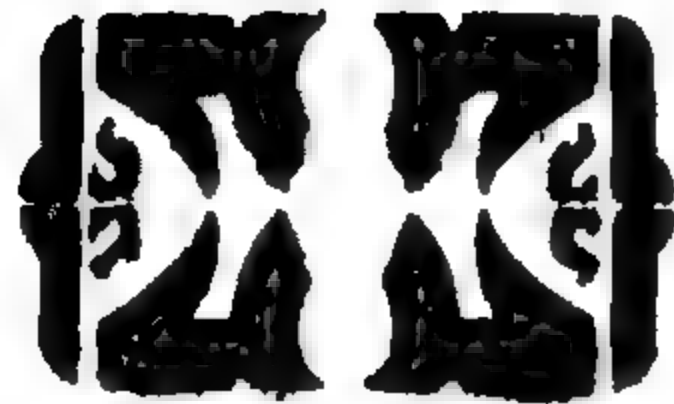
ودعونا نُسخر منه بدورنا .. هو وأمثلة ممن لا يعجبهم
شيء .

هؤلاء الذين يريدونها جنة .
ماذا فعلوا ليستحقونها جنة .
وماذا قدم صاحبنا للإنسانية ليجعل من نفسه الله الواحد
القهار الذي يقول للمشيء كن فيكون .
إن جدتي أكثر ذكاء من الاستاذ الدكتور المتخرج من فرنسا
حينما تقول في بساطة :

« خير من الله شر من نفوسنا » .

إنها كلمات قليلة ولكنها تلخيص أمين للمشكلة كلها ..
فإن الله أرسل الرياح وأجرى النهر ولكن ربان السفينة الجشع
ملا سفينته بالناس والبضائع بأكثر مما تحمل ففرقت فمضى
يسب الله والقدر .. وما ذنب الله .. الله أرسل الرياح وخاء
وأجرى النهر خيرا .. ولكن جشع النفوس وطمعها هو الذي
قلب هذا الخير شرا .

ما أصدقها من كلمات جميلة طيبة .
« خير من الله شر من نفوسنا » .



● وما ذنب الذئب

لم يصله قرآن؟

هرش صاحبنا الدكتور رأسه .
كان من الواضح أنه يبحث لى فى الدكتوراه عن حفرة
أو مطب يدق عنقى فيه . . ثم قال فى هدوء وهو يرتب كلماته :
- حسنا . . وما رأيك فى هذا الانسان الذى لم يصله
قرآن ولم ينزل عليه كتاب . . ولم يات به نبي . . ما ذنبه . .
وما مصيره عندكم يوم الحساب . . مثل اسكيمو فى اقاصى
القطبين . . أو زنجى فى الغابات . . ماذا يكون حظه بين يدي
الهكم يوم القيامة .
قلت له :

- دعنى أصحح معلوماتك أولا . . فقد بنيت استلتك على
مقدمة خاطئة . . فالله أخبرنا بأنه لم يحرم أحدا من رحمته
ووحيه وكلماته وآياته .

(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) ٢٤ - فاطر
(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) ٣٦ - النحل
والرسل الذين جاء ذكرهم فى القرآن ليسوا كل الرسل . .
وانما هناك آلاف غيرهم لا نعلم عنهم شيئا . . والله يقول
لنبيه عن الرسل :

(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)
٧٨ - غافر

والله يوحى الى كل شئ حتى النحل .
(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن

الشجر ومما يعرشون (٦٨ - النحل

وقد يكون الوحي كتاباً يلقيه جبريل . . وقد يكون نورا يلقيه الله في قلب العبد . . وقد يكون انشراحاً في الصدر . . وقد يكون حكمة وقد يكون حقيقة وقد يكون فهماً وقد يكون خشوعاً ورهبة وتقوى .

وما من أحد يرهب قلبه ويرهب سمعه الا ويتلقى من الله فضلاً .

أما الذين يصممون آذانهم وقلوبهم فلا تنفعهم كتب ولا رسل ولا معجزات ولو كثرت .

والله قال انه يختص برحمته من يشاء . . وانه لا يسأل عما يفعل .

وقد يريد الله لحكمة يعلمها أن ينذر أحداً وأن يعذر آخر فيقبل منه أهون الإيمان .

ومن يدرينا . . ربما كانت مجرد لفظة من ذلك الزنجي البدائي الى السماء في رهبة هي عند الله منجية ومقبولة أكثر من صلاتنا .

على أن القراءة المتأملة لأديان هؤلاء الزنوج البدائيين تدل على أنه كان لهم رسل ورسالات سماوية مثل رسالاتنا .

في قبيلة الماو ماو منسلاً نقراً أنهم يؤمنون بالله يسمونه « موجايي » ويصفونه بأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد وليس له كفو ولا نسب . . وانه لا يرى ولا يعرف الا من آثاره وأفعاله . . وانه خالق رازق وهاب رحيم يشفي المريض وينجد المأزوم وينزل المطر ويسمع الدعاء ويصفونه بأن البرق خنجره والرعد وقع خطاه .

أليس هذا الـ « موجايي » هو الهنا بعينه . ومن أين جاءهم هذا العلم الا أن يكون في تاريخهم رسول ومبلغ جاء به . . ثم تقدم عليه العهد كالمعتاد فدخلت الحرافات والشعوذات بسوءت هذا النقاء الديني .

وفي قسمة نيام نيام نقراً أنهم يؤمنون بالله واحد يسمونه

« مبولى » ويقولون ان كل شىء فى الغابة يتحرك بارادة « مبولى »
وانه يسلط الصبوع على الاشرار من البشر .. ويكافى
الاخيار بالرزق والبركة والامان .
وفى قبيلة الشيلوك يؤمنون باله واحد يسمونه « جوك »
ويصفونه بأنه خفى وظاهر .. وانه فى السماء وفى كل مكان
وانه خالق كل شىء .
وفى قبيلة الدنكا يؤمنون باله واحد يسمونه « نيلاك »
وهى كلمة ترجمتها الحرفية .. الذى فى السماء .. أو الاعلى .
ماذا نسمى هذه العقائد الا أنها اسلام .
وماذا تكون الا رسالات كان لها فى تاريخ هؤلاء الاقوام
رسائل .

ان الدين لواحد .
(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٦٢ - البقرة
حتى الصابئين الذين عبدوا الشخص على أنها آية من آيات الله
وآمنوا بالله الواحد وبالأخرة والبعث والحساب وعملوا
الصالحات فلهم أجرهم عند ربهم .
ومعلوم أن رحمة الله تتفاوت .
وهناك من يولد أعمى وهناك من يولد مبصرا وهناك من
عاش أيام موسى ورآه رأى العين وهو يشق البحر بعصاه ..
وهناك من عاش أيام المسيح ورآه يحيى الموتى .. أما نحن
فلا نعلم عن هذه الآيات الا سمعا .. وليس الخبر كالميان ..
وليس من رأى كمن سمع .

ومع ذلك فالإيمان وعدمه ليس رهنا بالمعجزات .
والكابرون المعاندون يرون العجب من أنبيائهم فلا يزيد
قواهم على أن هذا « سحر مفترى » .
ولا شك أن صاحبنا الدكتور القادم من فرنسا قد بلغه من
الكتب ثلاثة .. نورا وانجيل وقرآن وبلغته .. فلم تزده هذه
الكتب الا اغراقا فى الجدل .. وحتى يهرب من الموقف كله

أحاله على شخص مجهول في الغابات لم ينزل عليه كتاب ..
وراح يسألنا .. وما بالكم بهذا الرجل الذي لم يصله قرآن
ولم ينزل عليه كتاب .. ملتصقا بذلك ثغرة في العدل الالهي
أو موهما نفسه بأن المسألة كلها عبث ..
وهو لذلك يسألنا « ولماذا تتفاوت رحمة الله » .. لماذا
يشهد الله واحسدا على آياته .. ولا يدري آخر بتلك الآيات
الا سمعنا ..

ونحن نقول انها قد لا تكون رحمة بل نعمة أنم يقل الله
لأتباع المسيح الذين طلبوا نزول مائدة من السماء محذرا :
(انى منزاها عليكم فمن يكفر بعد هتكم فانى اعليه عذابا
لا اعليه احدا من العالمين) ١٥ - المائدة
ذلك لانه مع نزول المعجزات ياتى دائما تشديد العذاب
لمن يكفر ..

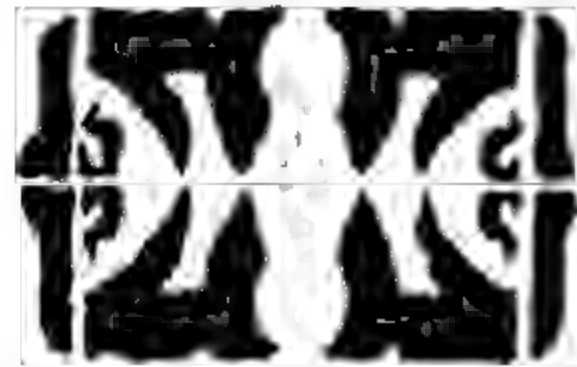
وطوبى لمن آمن بالسماع ودون أن يرى معجزة ..
والويل للمدين شاهدا ولم يؤمنوا ..
فالقرآن في يدك حجة عليك وتذير .. ويوم الحساب بصبح
نعمه لا رحمة ..

وعدم اقامة هذه الحجة البينة على الاسكيمو ساكني القطبين
قد يكون اعفاء وتخفيفا ورحمة ومغفرة يوم الحساب .. وقد
تكون لفتة الى السماء من هذا الاسكيمو الجاهل ذات ساعة في
عمره .. عند الله كافية لقبوله مؤمنا مخلصا ..
أما لماذا يرحم الله واحدا أكثر مما يرحم آخر فهو امر
يؤسسه الله على علمه بأثقلوب ..

(فسلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
فرييسا) ١٨ - الفتح

وعلم الله بنا وبقلوبنا يمنه الى ما قبل نزولنا في الارحام
حينما كنا عنده ارواحا حول عرشه .. فمننا من الف حول
نوره .. ومننا من انصرف عنه مسمعا بالكلوب وعدمه عن
جمال حائفه .. فاستحق الرتبة الدنيا من ذلك اليوم وسبق
عليه المول .. هذا كلام أهل المشاهدة ..

وما نراه من تاريخنا القصير في الدنيا ليس كل شيء .
ومعرفة الحكمة من كل ألم وحرمان أمر لا يعلمه إلا العليم .
والذي يسألني . . لماذا خلق الله الخنزير خنزيرا . . لا أملك
إلا أن أجيبه بأن الله اختار له ثوبا خنزيريا لأن نفسه خنزيرية
وأن خلقه هكذا حق وعدل .
وكل ما نرى حولنا من استحقاقات هي عدل ولكن معرفة
الحكمة الكلية واماطة اللثام عن هذا العدل أمر ليس في مقدور
كل واحد .
ولعل لهذا السبب هناك آخرة . . ويوم تنصب فيه
الموازين وينبئنا العليم بكل ما اختلفنا فيه .
ومع هذا فسوف أريحك بالكلمة الفصل . . فقد قال الله
في كتابه انه لن يعذب الا من أنذرهم بالرسول .
(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ١٥ - الاسراء
هل أرعن واسترحمت .
ثم دعني أقول لك يا صاحبي .
ان أعجب ما في سؤالك أن طاهره يومهم بالآيمان والاشفاق
على الرمحي المسكين الذي مات ما في القرآن من نور ورحمة
وعدي . . مع أن حقيقتك هي الكفر بالقرآن وبسوره ورسولته
وهذه . . فسؤالك اقرب ما يكون الى الاستدراج والمخادعة
وفيها مناقصة للنفس هي «الكفارة» بعينها . . فانت تحاول أن
تقيم علينا حجة هي عندك ليس نها أي حجة .
ألا ترى معي يا صاحبي أن جهاز المنطق عندك في حاجة
إلى إصلاح .



● الجنة والنار

كان صديقنا الدكتور واثقا من نفسه كل الثقة هذه المرة وهو يلوك الكلمات ببطء ليلقى بالقنبلة - كيف يعذبنا الله وهو الرحمن الرحيم على ذنب محدود في الزمن بعذاب لا محدود في الابد (النار خالدين فيها ابدًا) ومن نحن وماذا نسأوى بالنسبة لعظمة الله حتى ينتقم منا هذا الانتقام .. وما الانسان الا ذرة أو هبة في الكون وهو بالنسبة لجلال الله أهون من ذلك بكثير .. بل هو الاشئ بعينه .
وتحن نصصح معلومات الدكتور فنقول :

أولا - اننا لسنا ذرة ولا هبة في الكون .. وان شأننا عند الله ليس هينا بل عظيما .. ألم ينفخ فينا من روحه .. ألم يسجد لنا الملائكة .. ألم يعدنا بميرات السموات والارض ويقول عنا :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)
٧٠ - الاسراء

ان فينا اذن من روح الله .

ونحن بالنسبة للكون لسنا ذرة ولا هبة .. اننا ننسدهم
بالنظر الى اجسادنا كذرة أو هبة بالنسبة للكون الفسيح
الواسع .

ولكن ألا نحتوى على هذا الكون ونستوعبه بعقلنا وندرك
قوانينه . وأفلاكه ونرسم لكل كوكب مداره .. ثم ينزل رائد
الفضاء على القمر فيكتشف أن كل ما استوعبناه بعقلنا على
الأرض كان صحيحا .. وكل ما رسمناه كان دقيقا ..
ألا يدل هذا على أننا بالنظر الى روحنا اكبر من الكون واننا
نحتوى عليه .. وان الشاعر كان على حق حينما خاطب
الانسان قائلا :

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك أنطوى العالم الأكبر

وان الانسان كما يقول الصوفية هو الكتاب الجامع والكون
صفحاته .

اذن فالانسان عظيم الشأن كبير الخطر .
وهو من روح الله .

وأعماله تستوجب المحاسبة .

أما عن الذنب المحدود في الزمان الذي يحاسبنا الله عليه
بعذاب لا محدود في الابد .. فمخالطة أخرى وقع فيها الدكتور
العزیز الوراق من نفسه .

فالله يقول عن هؤلاء المخلدين في النار حينما يطلبون العودة
الى الدنيا ليعملوا غير ما عملوا .. يقول سبحانه :

(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) ٢٨ - الانعام

أى ان ذنبهم ليس ذنبا محدودا في الزمان .. بل هو
خصلة ثابتة سوف تتكرر في كل زمان .. ولو ردوا لعادوا
الى ذنبهم وانهم لكاذبون .

هى اذن صفة مؤبدة في النفس وليست سقطة عارضة في
ضرب عارض في الدنيا .

وهو يقول عنهم في مكان آخر :

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويعجبون أنهم على شيء... إلا أنهم هم الكاذبون) ١٨ - المجادلة
هنا لون آخر من الاصرار والتعدي يصل الى أنهم يواجهون
الله بالكذب والحلف الكذب وهم بين يديه يوم الموقف العظيم
يوم ترفع الحجب وينكشف الغطاء .. وهذا غاية الجبروت
والصسلف .

ولست هنا أمام ذنب محدود في الزمان .
بل أمام ذنب مستمر في الزمان وبعد أن يطوى الزمان وكل
زمان .. نحن هنا أمام نفس تحمل معها شرها الابدى .

ومن هنا كان تأييد العذاب لهذه النفس عدلا .
ولهذا تقول عنهم الآية في صراحة :

(وما هم بخارجين من النار) ١٦٧ - البقرة
ويقول ابن عربى : ان الرحمة بالنسبة لهؤلاء انهم سوف
يشعرون على النار .. وتصبح تلك النار فى الآباد المؤبدة
بيئتهم الملائمة .

ولا شك أن هناك مجانسة بين بعض النفوس المجرمة وبين
النار .. فبعض تلك النفوس هى فى حقيقتها شعلة حسنة
وحقد وشهوة وغيرة وغل وضرام من الغضب والنقمة والنورة
والمشاعر الاجرامية المحتدمة وكأنها نار بالفعل .

مثل تلك النفوس لا تستطيع أن تعيش فى سلام .
ولا تستطيع أن تحيا ساعة دون أن تشعل حولها حربا .
ودون أن تضرم حولها النيران .. لان النيران هى بيئتها
وطبيعتها .

ومثل تلك النفوس يكون قرارها فى النار هو الحكم العدل
ويكون هذا المصير من قبيل وضع الشيء فى مكانه .. فلو أنها
ادخلت الجنة لما تذوقتها .

الم تكن ترفض السلام فى الارض ؟
وينبغى أن نفهم النار والجنة فى الآخرة فهما واسع الاتى ..
فالنار فى الآخرة ليست شواية . وليس ما يجرى فيها من

الحريق بالمعنى الدنيوى فانه يقول ان المذنبين فى النار يتكلمون ويتلاعنون وان النار فيها شجرة لها ثمر .. هى شجرة الزقوم التى تخرج من أصل الجحيم .. كما ان فيها ماء حميما يشرب منه المعذبون .

مثل تلك النار التى فيها شجرة وفيها ماء .. ويتكلم فيها الناس لابد أنها نار غير النار :

(كلما دخلت أمة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولنكن لا تعلمون) ٣٧ - ٣٨ الاعراف انهم يتكلمون وهم فى النار وهم نار :

(وقودها الناس والحجارة) ٢٤ - البقرة .
هذه النار اذن هى من قبيل الغيب .. وما ورد عنها اشعارات .

ولا يجب أن يفهم من هذا الكلام أننا ننكر العذاب الحسى ونقول بالعذاب المعنوى .. فان العذاب الحسى صريح لا يجوز الشك فيه ونحن نؤمن بوجوده . وانما نقول ان تفاصيل هذا العذاب وكيفيته .. كما ان كيفية تلك النار وأوصافها التفصيلية .. هى غيب مجهول .. فهى على ما يسدو فى الاشارات القرآنية .. نار غير النار .. كما ان اجسامنا فى تحملها لتلك النار هى غير الاجسام الترابية الهشة التى لنا الآن

ونفس الشئ فى الجنة .. فهى ليست سوق خضار وبلح ورمال وعنب .. وانما تلك الاوصاف القرآنية هى مجرد اشارات وضرب أمثلة وتقريب الى الازهان .

(مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه) ١٥ - محمد

، مثل الجنة .. أى أننا نصرب مثلا يقرب فهم الجنة اليك ولكن الحقيقة أن التفاصيل غيب .

(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) ١٧٠ - السجدة

(جنة عرضها السموات والارض) ١٣٣ - - - - -

فهي لا يمكن أن تكون مجرد حديقة .

(وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) ٣٢ - البرافعة

فهي غير فاكهتنا المقطوعة والممنوعة . . . وخمر :

(لا يصدعون عنها ولا ينزفون)

فهي غير خمرنا التي تصدع الرأس وتنزف العقل .

ويقول القرآن عن أهل الجنة :

(ونزغنا ما في صدورهم من نخل) ٤٣ - الاعراف

ما هنا نفوس ظهرت بطريقة لا نعلمها .

الجنة اذن هي الاخرى غيب وليس في هذا الكلام اى انكار

للنعيم الحسى فنحن نؤمن بأن الجنة نعيم حسى ومعنوى معا كما

أن النار عذاب حسى ومعنوى ولكن ما نريد تأكيده أن تعاضيل

هذا النعيم أو العذاب وكمياته غيب . وإن الجنة ليست سرفا

للفاكهة والحضار ولا النار فرنا لشوى اللحوم .

وإن التعذيب فى الآخرة ليس تجبرا من الله على عبده وإنما

هو تطهير وتعريف وتقويم ورحمة .

(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) ١٤٧ - النساء

فالاصل هو عدم العذاب .

والله لا يعذب العارف المؤمن وإنما ينصب عذابه على طاعة

المنكر الذى فشلت معه كل وسائل الهداية والتعريف والتفهيم .

(وانذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم

يرجعون) ٢١ - السجدة

سنة الله أن يذيق عسولا من العذاب الأصغر فى الدنيا

لايقاظهم من غفلتهم ولازعاجهم من هذا الصمم والسبات . .

لعلهم يرجعون . .

فإذا لم تفلح كل هذه الوسائل . . وطول المنكر على انذاره

ثم يبق الا مواجهته بالعذاب الحق لتعريفه . . والمصرت بالحق

هو عين الرحمة . . ولو أن الله تركهم على غيهم ورحمتهم

وأهلهم فكان في حقه ظلما .. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا .. فالعرض على النار بالنسبة لهؤلاء الجهال .. عناية ..
وكل أفعال الله رحمة ..

يرحم الجاهل بالجميع تأديبا وتعلينا ..
ويرحم العارف بالجنة فضلا وكرامة ..

(عذابهم أصيب به من اتسأ ورحمتي وسعت كل شيء)

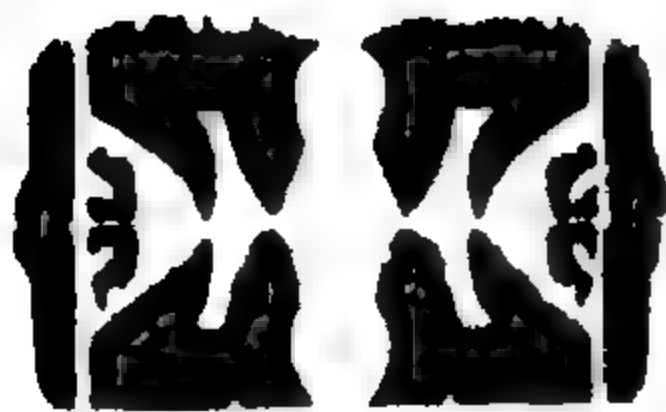
١٥٦ - الاعراف

يجعل رحمته تسع كل شيء حتى العذاب ..
ثم دعونا نسأل الدكتور .. أليكون الله أكثر عدلا في نظره
لو أنه ساوى بين الظالمين والمظلومين وبين السفاحين وفسحاياهم
فهم لم يكن حفلة شاي في الآخرة ..

وهل العدل في نظر الدكتور أن يستوى الأبيض والأسود ..
والمتدين يستبعدون على الله أن يعذب نقول : ألا يعذبنا الله
بأنه في - نياتنا - وماذا تكون الشيخوخة والمرض والمرطبان
ألا عذاب يمينه ..

ومن شائق المبكروب !!!

اليس من حسيها انذارات بأننا أمام الله يمكن أن يعذب ..



● هل الدين أفيون؟

قال لي صاحبي الدكتور وهو يغمز بعينية :

— وما رأيك في الذين يقولون ان الدين أفيون وانه يخدر
الفقراء والمظلومين ليناموا على ظلمهم وفقرهم ويحلموا بالجنة
والحور العين .. بينما يثبت الاغنياء على غناهم باعتبار أنه حق
وأن الله خلق الناس درجات ؟
وما رأيك في الذين يقولون ان الدين لم ينزل من عند الله
وانما طلع من الارض من الظروف والدواعي الاجتماعية ليكون
سلاحاً لطبقة على طبقة ؟
وهو يشير بذلك الى الماديين وأفكارهم .
قلت :

— ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين أفيون .. فالدين
في حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات وليس تخففاً وتحللاً وبالتالي
ليس مهرباً من المسؤوليات وليس أفيوناً .
وديننا عمل وليس كسلاً .
(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) ١٠٥ — التوبة
ونحن نقول بالتوكل وليس بالتواكل .

والتوكل يقتضى عندنا العزم واستفراغ الوسع وبذل غاية
الطاقة والحيلة ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحكمه .
(فاذا عزمتم فتوكل على الله) ١٥٩ - آل عمران
العزم أولا .

والنبي يقول لمن يريد أن يترك ناقتة سائبة توكلأ على
حفظ الله . . « اعقلها وتوكل » . . أى ابذل وسعك أولا فثبتها
فى عقالها ثم توكل .
والدين صحو وانتباه ويقظة ومحاسبة للنفس ومراقبة
للضمير فى كل فعل وفى كل كلمة وكل خاطر وليس هذا
حال آكل الافيون .

انما آكل الافيون الحقيقى هو المادى الذى ينكر الدين هربا
من تبعاته ومسئولياته ويتصور أن لحظته ملكه وأنه لا حسيب
ولا رقيب ولا بعث بعد الموت فيفعل ما يخطر على باله ، وأين
هذا الرجل من المتدين المسلم الذى يعتبر نفسه مسئولا عن
سابع جار . . واذا جاع قرد فى أمتة أو ضربت دابة عاتب
نفسه بأنه لم يقم بواجب الدين فى عنقه .

وليس صحيحا أن ديننا خرج من الارض . . من الظروف
والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحا لطبقة على طبقة وتثبيتا لغنى
الاغنياء وفقر الفقراء .

والعكس هو الصحيح . . فالاسلام جاء ثورة على الاغنياء
والكائزين المال والمستغلين والظالمين . فامر صراحة بان لا يكون
المال دولة بين الاغنياء يحتكرونها ويتداولونها بينهم وانما يكون
حقا لكل .

(والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم) ٣٤ - التوبة
والانفاق يبدأ من زكاة اجبارية ٢/٣ فى المائة . . ثم يتصاعد
اختياريا الى كل ما فى الجيب وكل ما فى اليد فلا تبقى لنفسك
الا خبزك كفافك .

(يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ - البقرة
والعفو هو كل ما زاد عن الكفاف والحاجة .

وبهذا جمع الاسلام بين التكليف الجبرى القانونى والتكليف
الاختيارى القائم على الضمير ، وهذا اكرم للانسان من نزع
املاكه بالقهر والمصادرة .

ووصل بالانفاق الى ما فوق التسعين فى المائة دون ارهاق .
ولم يأت الاسلام ليثبت ظلم الظالمين بل جاء ثورة صريحة
على كل الظالمين وجاء سيفا وحربا على رقاب الطواغيت
والمستبدين .

أما التهمة التى يسوقها الماديون بأن الدين رجمى وطبقى
بدليل الآيات :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) ٧١ - النحل

(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ٣٢ - الزحرف

فنحن نرد بأن هذه الآيات تنطبق على لندن وباريس وبرلين
وموسكو بمثل ما تنطبق على القاهرة ودمشق وجدة ، وإذا
مشينا فى شوارع موسكو فسوف نجد من يسير على رجليه .
ومن يركب بسكليت . ومن يركب عربة موسكوفتش . ومن
يركب عربة زيم فاخرة . . وماذا يكون هذا الا التفاضل فى
الرزق بعينه والدرجات والرتب الاقتصادية .

والتفاوت بين الناس حقيقة جوهرية .
ولم تستطع الشيوعية أن تلغى التفاوت .
ولم يقل حتى غلاة المادية والفوضوية بالمساواة .
والمساواة غير ممكنة فكيف نساوى بين غير متساوين .
الناس يولدون من لحظة الميلاد غير متساوين فى الذكاء
والقوة والجمال والمواهب . . يولدون على درجات فى كل شئ .
وأقصى ما طمعت فيه المذاهب الاقتصادية هى المساواة فى
الفرص وليس المساواة بين الناس . . أن يلغى كل واحد نفس
الفرصة فى التعليم والعلاج والحد الأدنى للمعيشة . . وهو
نفس ما تحض عليه الأديان . . أما إلغاء الدرجات وإلغاء التفاوت
فهو الظلم بعينه والأمر الذى يناهى الطبيعة . والطبيعة تقوم

كلها على أساس التفاضل والتفاوت والتنوع في ثمار الأرض
وفي البهائم وفي الناس .

في القطن نجد طويل التيلة وقصير التيلة وجيزة ٧
وسكلاريدس وفولي جود فير . . في البلح نجد الزغلول
والسسماني والحياشي . . وفي العنب نجد البناتي والفيومي
والأزمري .

وفي الحيوان والانسان نجد الرتب والدرجات والتفاوت
أكثر .

هذا هو قانون الوجود كله . . التفاضل
وحكمة هذا القانون واضحة . . فلو كان جميع الناس
يولدون بخلقة واحدة وقالب واحد . . ونسخة واحدة . . لما
كان هناك داع لميلادهم أصلا . . وكان يكفي أن تأتي نسخة
واحدة فتغني عن الكل . . وكذلك الحال في كل شيء . .
ولانتهى الأمر إلا فقر الطبيعة وافلاسها .

وانما غنى الطبيعة وخصبها لا يظهر إلا بالتنوع في ثمارها
وغلاتها والتفاوت في ثمارها .

ومع ذلك فالدين لم يسكت على هذا التفاوت بين الأغنياء
والفقراء بل أمر بتصحيح الأوضاع وجعل للفقير نصيبا في
مال الغني . . وقال ان هذا التفاوت فتنة وامتحان .

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) ٢٠ - الفرقان
سوف نرى ماذا يفعل القوى بقوته . هل ينجد بها الضعفاء
أم يضرب ويقتل ويكون جبارا في الأرض . . وسوف نرى ماذا
يفعل الغني بغناه . . هل يطفى ويسرف . . أم يعطف ويحسن
وسوف نرى ماذا يفعل الفقير بفقره . . هل يحسد ويحقد
ويسرق ويختلس . . أم يعمل ويكد ويجتهد ليرفع مستوى
معيشته بالشرع والعدل .

وقد أمر الدين بالعدل وتصحيح الأوضاع وبالمساواة بين
الفرص . . وهبدد بعذاب الآخرة ، وقال بأن الآخرة ستكون
أيضا درجات أكثر تفاوتا لتصحيح ما لم يجر تصحيحه
في الأرض .

(وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ٢١ - الاسراء
وللذين يتهمون الاسلام بالرجعية السياسية نقول ان
الاسلام أتى بأكثر الشرائع تقدمية في نظم الحكم .
احترام الفرد في الاسلام بلغ الذروة . . وسبق ميثاق
حقوق الانسان وتفوق عليه . . فماذا يساوى الفرد الواحد في
الاسلام انه يساوى الانسانية كلها .

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكانما قتل
الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا)
٣٢ - المائدة

لا تغنى المنجزات ولا الاصلاحات المادية ولا التعمير
ولا السدود ولا المصانع . . اذا قتل الحاكم فردا واحدا ظلما
في سبيل هذا الاصلاح ، فانه يكون قد قتل الناس جميعا .
ذروة في احترام الفرد لم يصل اليها مذهب سياسى قديم
أو جديد . . فالفرد في الاسلام له قيمة مطلقة بينما في كل
المذاهب السياسية له قيمة نسبية . . والفرد في الاسلام آمن
في بيته . . وفي أسراره « لا تجسس ولا غيبة » آمن في ماله
ورزقه وملكيته وحرية .

كل شيء حتى التحية حتى افساح المجلس حتى الكلمة الطيبة
لها مكان في القرآن .

وقد نهى القرآن عن التجبر والطغيان والانفراد بالحكم .
وقال الله للنبي « وهو من هو في كماله وصلاحياته » .
(وما انت عليهم بجبار) ٤٥ - ق

(فذكر انما انت مذكر . . لست عليهم بمسيطر)
٢١ - الفاشية

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ - الحجرات

ونهى عن عبادة الحاكم وتاليه العظيم :

(لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ٦٤ - آل عمران

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) ٢٣ - الاسراء

ونهى عن الفوغائية وتملق الدهماء والسوقة والجري وراء
الاغلبية المضللة وقال أن :

(أكثر الناس لا يعلمون) ٢١ - يوسف
(بل أكثرهم لا يعقلون) ٦٣ - العنكبوت
(أكثر الناس لا يؤمنون) ٥٩ - غافر
(ان يتبعون الا الفتن وأن هم الا يخربصون « يكذبون » »
١١٦ - الانعام

(ان هم الا كالانعام بل هم اضل) ٤٤ - الفرقان
ونهى عن العنصرية والعرقية :
(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ١٣ - الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ - الاعراف
وبالمعنى العلمى كان الاسلام تركيبا جدليا جامعا بين مادية
اليهودية وروحانية المسيحية ، بين العدل الصارم الجاف الذى
يقول : السن بالسن والعين بالعين ، وبين المحبة والتسامح
المتطرف الذى يقول : من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر .
وجاء القرآن وسطا بين التوراة التى حرفت حتى أصبحت
كتابا ماديا ليس فيه حرف واحد عن الآخرة ، وبين الانجيل
الذى مال الى رهبانية تامة ، ونادى القرآن بناموس الرحمة
الجامع بين العدل والمحبة فقال بشرعية الدفاع عن النفس ولكنه
فضل العفو والصفح والمغفرة .

(ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ٤٣ - الشورى
واذا كانت الرأسمالية أطلقت للفرد حرية الكسب الى درجة
استغلال الآخرين واذا كانت الشيوعية سحقت هذه الحرية
تماما فان الاسلام قديم الحل الوسط .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)
٣٢ - النساء

الفرد حر فى الكسب ولكن ليس له أن يأخذ ثمرة أرباحه
كلها وانما له فيها نصيب وللفقير نصيب يؤخذ زكاة
وانفاقا من ٢٥ فى المائة الى ٩٠٪ جبرا واختيارا وهذا

النصيب ليس تصدقا وتفضلا وانما هو حق الله في الربح . .
وبهذه المغادلة الجميلة حفظ الاسلام للفرد خريته وللفقير حقه .
ولهذا أصاب القرآن كل الصواب حينما خاطب أمة الاسلام
قائلا :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ١٤٣ - البقرة
فقد اختار الاسلام الوسط العدل في كل شيء .
وهو ليس الوسط الحسابي وانما الوسط الجسدي أو
التركيب الذي يجمع النقيضين (اليمين واليسار) ويتجاوزهما
ويزيد عليهما . . . ولذلك ليس في الاسلام يمين ويسار وانما
فيه « صراط » الاعتدال الوسط الذي نسمية الصراط المستقيم
من خرج عنه باليمين أو اليسار فقد انحرف .
ولم يقيدنا القرآن بدستور سياسي محدد أو منهج مفصل
للحكم لعلم الله بأن الظروف تتغير بما يقتضى الاجتهاد في وضع
دساتير متغيرة في الازمنة المتغيرة ، وحتى يكون الباب مفتوحا
أمام المسلمين للاخذ والعطاء من المعارف المتاحة في كل عصر
دون انغلاق على دستور بعينه .

ولهذا اكتفى القرآن بهذه التوصيات السياسية العامة
السالفة كخصائص للحكم الامثل . . ولم يكبلنا بنظرية وهذا
سر من أسرار اعجازه وتفوقه وليس فقرا ولا نقصا فيه .
وتلك لمسة أخرى من تقديمية القرآن التي سبقت كل
التقديميات .

ونرد على القائلين بأن الدين جمود وتحجر . . بأن الاسلام
لم يكن أبدا دين تجمد وتحجر وانما كان دائما وأبدا دين نظر
وفكر وتطور وتغيير بدليل آياته الصريحة .
(قل سـيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)
٢٠ - العنكبوت

(فلينظر الانسان مم خلق . . خلق من ماء دافق . . يخرج
من بين الصلب والترائب) ٧ - الطارق
(أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت)

١٩ - الغاشية

أوامر صريحة بالنظر فى خلق الانسان وفى خلق الحيوان
وفى خلق الجبال وفى طبقات الارض وفى السماء وأفلاكها . .
وهى نظرات تضم كل ما نعينه الآن بعلم الجيولوجيا والفلك
والتشريع والفسولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجنة .
أوامر صريحة بالسير فى الارض وجمع الشواهد واستنباط
الاحكام والقوانين ومعرفة كيف بدأ الخلق . . وهو ما نعرفه
الآن بعلوم التطور .

ولا خوف من الخطأ .

فالاسلام يكافىء الذى يجتهد ويخطئ بأجر والذى يجتهد
ويصيب بأجرين .

وليس صحيحا ما يقال من أننا تخلفنا بالدين وتقدم الغرب
بالاحاد . . والحق أننا تخلفنا حينما هجرنا أوامر ديننا .
وحينما كان المسلمون يأمرون بهذه الآيات حقا كان هناك
تقدم وكانت هناك دولة من المحيط الى الخليج وعلماء مثل
ابن سينا فى الطب وابن رشد فى الفلسفة وابن الهيثم فى
الرياضيات وابن النفيس فى التشريع وجابر بن حيان فى
الكيمياء .

وكانت الدنيا تأخذ عنا علومنا . . وما زالت مجتمعات
النجوم وأبراجها تحتفظ الى الآن بأسمائها العربية فى المعاجم
الاوروبية . . وما زالوا يسمون جهاز التقطير بالفرنسية
imbique ومنه الفعل من كلمة أمبيق العربية . imbiquer
ولم يتقدم الغرب بالاحاد بل بالعلم .

وانما وقع الخلط مما حدث فى العصور الوسطى من طغيان
الكنيسة ومحاكم التفتيش وحجرها على العلم والعلماء وما حدث
من سجن غاليليو وحرق جيوردانو برونو .

حينما حكمت الكنيسة وانحرف بها البابوات عن أهدافها
النبيلة فكانت عنصر تأخر . . فتصور النقاد السطحيون ان

هذا ينسحب أيضا على الاسلام وهو خطأ .. فالاسلام ليس فيه بابوية ولا كهنوت .. والله لم يقم بينه وبين المسلمين أوصياء ولا وسطاء .

وحينما حكم الاسلام بالفعل كان عنصر تقدم كما شرحنا وكما يقول التاريخ مكذبا هذه المزاعم السطحية .
وآيات القرآن الصريحة تحض على العلم وتأمر بالعلم ولا تقيم بين العلم والدين أى تناقض :

(وقل رب زدنى علما) ١١٤ - طه

(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ٩ - الزمر
(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم)
١٨ - آل عمران

جعل الله الملائكة وأولى العلم فى الآية مقترنين بشرف اسمه ونسبته .

وأول آية فى القرآن وأول كلمة كانت « اقرأ » والعلماء فى القرآن موعودون بأرفع الدرجات :
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
١١ - المجادلة

وتتكرر كلمة العلم ومشتقاته فى القرآن نحو من ثمانمائة وخمسين مرة .

فكيف ينكلم بعد هذا متكلم عن تناقض بين الدين والعلم أو حجر من الدين على العلم .

والنظر فى الدين وتطوير فهمه مطلوب ، وتاريخ الاسلام كله حركات احياء وتطوير .. والقرآن برىء من تهمة التحجير على الناس وكل شئ فى ديننا يقبل التطوير .. ما عدا جوهر العقيدة واصلب الشريعة .. لان الله واحد ولن يتطور الى اثنين أو ثلاثة .. هذا أمر مطلق .. وكذلك الشر شر والخير خير .. لن يصبح القتل فضيلة ولا السرقة حسنة ولا الكذب حلية يتحلى بها الصالحون .

وفيما عدا ذلك فالدين مفتوح للفكر والاجتهاد والاضافة والتطوير .

وجوهر الاسلام عقلائي منطقي يقبل الجدل والحوار ويحض على استخدام العقل والمنطق .

وفي أكثر من مكان وفي أكثر من صفحة في القرآن نعثر على التساؤل .. « أفلا يعقلون » .. « أفلا يفقهون » .

وأهل الدين عندنا هم « أولو الالباب » .

(شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)

٢٢ - الانفال

(أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها

أو آذان يسمعون بها) ٤٦ - الحج

احترام العقل في لب وصميم الديانة .

والايجابية عصبها والثورة روحها .

لم يكن الاسلام أبدا خائفا ولا سلبيا .

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) ١٩٠ - البقرة

(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم

بنیان مرصوص) ٤ - الصف

والجهاد بالنفس والمال والاولاد .. والقتال والثبات وعدم

البنكوص على الاعقاب ، ومواجهة اليأس والمصايرة والمرابطة في

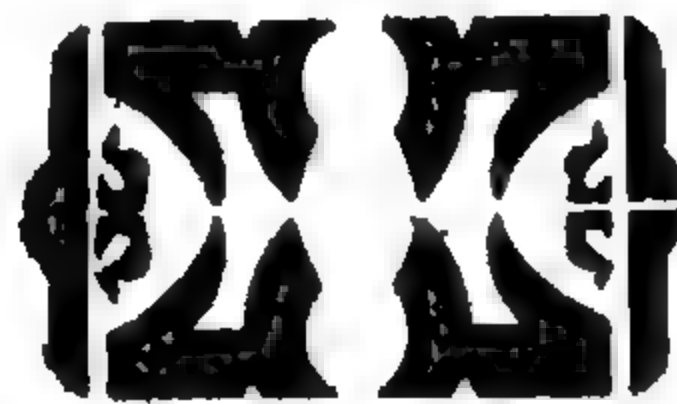
صلب ديننا .

فكيف يمكن لدين بهذه المرونة والعقلانية والعلمية

والايجابية والثورة أن يتهم بالتحجر والجمود الا من صديق

عزيز مثل الدكتور القادم من فرنسا لا يعرف من أوليات دينه

شيئا ولم يقرأ في قرآنه حرفا .



● وحكاية الإسلام

مع المرأة؟

قال صديقي الدكتور :
- ألا توافقني أن الإسلام كان موقفه رجعيا من المرأة ؟
وبدا يعد على أصابعه
- حكاية تعدد الزوجات وبقاء المرأة في البيت .. والحجاب
والطلاق في يد الرجل .. والضرب والهجر في المضاجع ..
وحكاية ما ملكت أيما نكم ، وحكاية الرجال قوامون على النساء
ونصيب الرجل المضاعف في الميراث .
قلت له وأنا أستجمع نفسي :

· التهم هذه المرة كثيرة .. والكلام فيها يطول .. ولنبدأ من
البداية ... من قبل الإسلام .. وأظنك تعرف تماما أن الإسلام
جاء على جاهلية ، والبنت التي تولد نصيبها الواد والدفن في
الرمل ، والرجل يتزوج العشرة والعشرين ويكره جواريه على
البغاء ويقبض الثمن .. فكان ما جاء به الإسلام من إباحة
الزواج بأربع تقييدا وليس تعديدا .. وكان انقاذا للمرأة من
العار والموت والاستعباد والمذلة .
وهل المرأة الآن في أوروبا أسعد حالا في الانحلال الشائع
هناك وتعدد العشيقات الذي أصبح واقع الأمر في أغلب الزوجات

أليس أكرم للمرأة أن تكون زوجة ثانية لمن تحب . . لها
كافة حقوق الزوجة واحترامها من أن تكون عشيقة في السر
تختلس المتعة من وراء الجدران .

ومع ذلك فالاسلام جعل من التعدد اباحة شبه معطلة وذلك
بأن شرط شرطا صعب التحقيق وهو العدل بين النساء .
(وان خفتم الا تعدلوا فواحدة) . . (ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ١٢٩ - النساء

فنفي قدرة العدل حتى عن الحريص فلم يبق الا من هو أكثر
من حريص كالانبياء والاولياء ومن في درجهم .
أما البقاء في البيوت فهو أمر وارد لزوجات النبي باعتبارهن
مثلا عليا .

(وقرن في بيوتكن) ٣٣ - الاحزاب
وهي اشارة الى أن الوضع الامثل للمرأة هي أن تكون
أما وربة بيت تفرغ لبيتها ولأولادها .

ويمكن أن نتصور حال أمة نساؤها في الشوارع والمكاتب
وأطفالها في دور الحضانة والملاجئ . . أ تكون أحسن حالا
أو أمة النساء فيها أمهات وربات بيوت والأطفال فيها يتربون
في حضانة أمهاتهم والأسرة فيها متكاملة الخدمات .
الرد واضح .

ومع ذلك فالاسلام لم يمنع المقتضيات التي تدعو الى خروج
المرأة وعملها . . وقد كانت في الاسلام فقيهاً وشاعرات . .
وكانت النساء يخرجن في الحروب . . ويخرجن للعلم .
انما توجهت الآية الى نساء النبي كمثل عليا ، وبين المثال
والممكن والواقع درجات متعددة .
وقد خرجت نساء النبي مع النبي في غزواته .

وينسحب على هذا أن الخروج لمعونة الزوج في كفاح شريف
هو أمر لا غبار عليه .
أما الحجاب فهو لصالح المرأة .

وقد أباح الاسلام كشف الوجه واليدين وأمر بستر
ما عدا ذلك .

ومعلوم أن المنوع مرغوب وإن ستر مواطن الفتنة يزيد لها
جاذبية .

وبين القبائل البدائية وبسبب العري الكامل يفتر الشوق
تماما وينتهي الفضول ونرى الرجل لا يخالط زوجته إلا مرة
فى الشهر وإذا حملت قاطعها سنتين .

وعلى الشواطىء فى الصيف حينما يتراكم اللحم العارى
المباح للعيون يفقد الجسم العريان جاذبيته وطرافته وفتنته
ويصبح أمرا عاديا لا يثير الفضول .

ولا شك أنه من صالح المرأة أن تكون مرغوبة أكثر وألا
تتحول الى شىء عادى لا يثير .

أما حق الرجل فى الطلاق فيقابله حق المرأة أيضا على
الطرف الآخر فيمكن للمرأة أن تطلب الطلاق بالمحكمة وتحصل
عليه إذا أبدت المبررات الكافية .

ويمكن للمرأة أن تشترط الاحتفاظ بعصمتها عند العقد . .
وبذلك يكون لها حق الرجل فى الطلاق .

والاسلام يعطى الزوجة حقوقا لا تحصل عليها الزوجة فى
أوروبا - فالزوجة عندنا تأخذ مهورا . . وعندهم تدفع دويلة . .
والزوجة عندنا لها حق التصرف فى أملاكها . . وعندهم تفقد
هذا الحق بمجرد الزواج ويصبح الزوج هو القيم على أملاكها .

أما الضرب والهجر فى المضاجع فهو معاملة المرأة الناشز
فقط . . أما المرأة السوية فلها عند الرجل المودة والرحمة .

والضرب والهجر فى المضاجع من معجزات القرآن فى فهم
النشوز . . وهو يتفق مع أحدث ما وصل اليه علم النفس
العصرى فى فهم المسلك المرضى للمرأة .

وكما نعلم يقسم علم النفس هذا المسلك المرضى الى نوعين
- « المسلك الخضوعى » وهو ما يسمى فى الاصطلاح العلمى
« ماسوشيزم » masochism وهو تلك الحالة المرضية التى

تلتذ فيها المرأة بأن تضرب وتعذب وتكون الطرف الخاضع والنوع الثانى هو « المسلك التحكمى » وهو ما يسمى فى الاصطلاح العلمى « سادزم » sadism وهو تلك الحالة المرضية التى تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم وتسيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الاذى بالغير . ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها الذى تتحكم به ، وسلاح المرأة انوثتها وذلك بهجرها فى المضجع فلا يعود لها سلاح تتحكم به . . . أما المرأة الاخرى التى لا تجد لذتها الا فى الخضوع والضرب فان الضرب لها علاج . . . ومن هنا كانت كلمة القرآن .

(واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) ٣٤ - النساء
اعجازا علميا وتلخيصا فى كلمتين لكل ما أتى به علم النفس فى مجلدات عن المرأة الناشز وعلاجها .
أما حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل فانها تجرنا الى قضية الرق فى الاسلام . . . واتهام المستشرقين للاسلام بأنه دعا الى الرق . . . والحقيقة أن الاسلام لم يدع الى الرق . . . بل كان الدين الوحيد الذى دعا الى تصفية الرق .
ولو قرأنا الانجيل . . . وما قاله بولس الرسول فى رسائله الى أهل افسس وما أوصى به العبيد لوجدناه يدعو العبيد دعوة صريحة الى طاعة سادتهم كما الرب .
« أيها العبيد . . . أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما الرب » . . .

ولم يأمر الانجيل بتصفية الرق كنظام وانما أقصى ما طالب به كان الأمر بالمحبة وحسن المعاملة بين العبيد وسادتهم .
وفى التوراة المتداولة كان نصيب الاحرار أسوأ من نصيب العبيد . . . ومن وصايا التوراة أن البلد التى تستسلم بلا حرب يكون حظ أهلها أن يساقوا رقيقا وأسبارى والتى تدافع عن نفسها بالسيف ثم تستسلم يعرض أهلها على السلاح . ويقتل شيوخها وشبابها ونسائها وأطفالها ويذبحوا تذبيحاً .
كان الاسترقاق اذن حقيقة ثابتة قبل مجيء الاسلام وكانت الاديان السابقة توصى بولاء العبد لسيد .

فنزل القرآن ليكون أول كتاب سماوى يتكلم عن فك
الرقاب وعتق الرقاب .

ولم يحزم القرآن الرق بالنص الصريح . . ولم يأمر بتسريح
الرقيق . . لان تسريحهم فجأة وبأمر قرآنى فى ذلك الوقت
وهم مئات الآلاف بدون صناعة وبدون عمل اجتماعى وبدون
توظيف يستوعبهم كان معناه كارثة اجتماعية وكان معناه
خروج مئات الألوف من الشحاذين فى الطرقات يستجدون
الناس ويمارسون السرقة والدعارة ليجدوا للقمه . وهو أمر أسوأ
من الرق ، فكان الحل القرآنى هو قفل باب الرق ثم تصفية
الموجود منه . . وكان مصدر الرق فى ذلك العصر هو استرقاق
الاسرى فى الحروب فأمر القرآن بأن يطلق الاسير أو تؤخذ فيه
فدية وبأن لا يؤخذ الاسرى أرقاء .

(فاما منا بعد . . واما فداء) ٤ - محمد

فاما أن تمن على الاسير فتطلقه لوجه الله . . واما تأخذ
فيه فدية .

اما الرقيق الموجود بالفعل فتكون تصفيته بالتدرج وذلك
بجعل فك الرقاب وعتق الرقاب كفارة الذنوب صغيرها وكبيرها
وبهذا ينتهى الرق بالتدريج .

والى أن تأتى تلك النهاية فماذا تكون معاملة السيد لما ملكت
يمينه . . أباح له الاسلام أن يعاشرها كزوجته .

وهذه حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل
ولا شك أن معاشره المرأة الرقيق كالزوجة كان فى تلك الايام
تكريما لا اهانة .

وينبغى ألا ننسى موقف الاسلام من العبد الرقيق وكيف
جعل منه أخا بعد أن كان عبدا يداس بالقدم .

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ - الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ - الاعراف

(لا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله) ٦٤ - آل عمران

وقد ضرب محمد عليه الصلاة والسلام المثل حينما تبني عبدا رقيقا هو زيد بن حارثة فأعتقه وجعل منه ابنه .. ثم زوجه من الحرة سليلة البيت الشريف زينب بنت جحش . كل هذا ليكسر هذه العنجهية والعصبية .. وليجعل من تحرير العبيد موقفا يقتدى به .. وليقول بالفعل وبالمثال أن رسالته هي عتق الرقاب .

أما أن الرجال قوامون على النساء فهي حقيقة في كل مكان في البلاد الإسلامية . وفي البلاد المسيحية . وفي البلاد التي لا تعرف الها ولا دينها .

في موسكو الملحدة المحكام رجال من أيام لينين وستالين وخروشوف وبولجانين الى اليوم ، وفي فرنسا المحكام رجال ، وفي لندن المحكام رجال ، وفي كل مكان من الارض الرجال هم الذين يحكمون ويشرعون ويخترعون ، وجميع الانبياء كانوا رجالا ، وجميع الفلاسفة كانوا رجالا ، حتى الملحنين « مع أن التلحين صنعة خيال لا يحتاج الى عضلات » رجال ، وكما يقول العقاد ساخرا : حتى صنعة الطهي والحياكة والموضة وهي تخصصات نسائية تفوق فيها الرجال ثم انفردوا بها .

وهي ظواهر لا دخل للشريعة الإسلامية فيها .. فهي ظواهر عامة في كل بقاع الدنيا حيث لا تحكم شريعة اسلامية ولا يحكم قرآن .

انما هي حقائق .. ان الرجل قوام على المرأة بحكم الطبيعة واللياقة والحاكمة التي خصه بها الخالق . واذا ظهرت وزيرة أو زعيمة أو حاكمة فانها تكون الطرافة التي تروى أخبارها والاستثناء الذي يؤكد القاعدة .

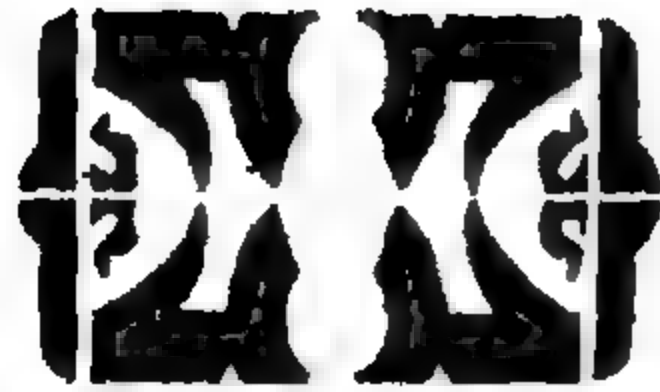
والاسلام لم يفعل أكثر من أنه سجل هذه القاعدة وهذا يعسر لنا بعد ذلك لماذا أعطى القرآن الرجل ضعف النصيب في الميراث : .. لانه هو الذي ينفق ولانه هو الذي يعمل .. ولانه هو الذي يعمل .

كان موقف الاسلام من المرأة هو العدل .
وكانت سيرة النبي مع نسائه هي المحبة والحدب والحنان .
الم يؤثر عنه قوله :
« حبيب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلاة » .

فذكر النساء مع الطيب والعطر والصلاة وهذا غاية الاعزاز،
وكان آخر ما قاله في آخر خطبة له قبل موته هو التوصية
بالنساء .

واذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع فلانه
عهد الى الرجل امانة التعمير والبناء والانشاء بينما عهد الى
المرأة امانة أكبر وأعظم هي تنشئة الانسان نفسه .

وانه من الاعظام لشأن المرأة أن تؤتمن على هذه الامانة .
فهل ظلم الاسلام النساء !!؟



● الروح

قال صديقي الدكتور وهو يعلم هذه المرة أن الاشكال سيكون عسيراً .

— ما دليلك على أن الانسان له روح وأنه يبعث بعد موت وأنه ليس مجرد الجسد الذي ينتهى الى تراب ؟ وماذا يقول دينكم فى تحضير الارواح ؟
قلت بعد برهة تفكير :

— لا شك أن السؤال اليوم صعب والكلام عن الروح ضرب فى تيه والحقائق الموجودة قليلة ولكنها مع ذلك فى صفنا نحن وليست فى صفكم .

ومضت برهة أغرقت فيها فى التفكير ثم قلت مردفاً :
— فكر معى قليلاً . . ان أول المؤشرات التى تساعدنا على التدليل على وجود الروح . . أن الانسان ذو طبيعة مزدوجة .
الانسان له طبيعتان :

طبيعة خارجية ظاهرة مشهودة هى جسده تتصف بكل صفات المادة ، فهى قابلة للوزن والقياس متحيزة فى المكان متزمنة بالزمان دائمة التغير والحركة والصيرورة من حال الى حال ومن لحظة الى لحظة فالجسد تتداول عليه الاحوال من صحة

الى مرض الى سمنة الى هزال الى تورد الى شعوب الى نشاط
الى كسل الى نوم الى يقظة الى جوع الى شبع ، وملحق بهذه
الطبيعة الجسدية شريط من الانفعالات والعواطف والغرائز
والمخاوف لا يكف لحظة عن الجريان في الدماغ .

ولان هذه الطبيعة والانفعالات الملحقة بها تتصف بخواص
المادة نقول ان جسد الانسان ونفسه الحيوانية هما من المادة .
ولكن هناك طبيعة اخرى مخالفة تماما للاولى ومغايرة لها
في داخل الانسان .

طبيعة من نوع آخر تتصف بالسكون واللازمان والامكان
والديمومة . . هي العقل بمعاييره الثابتة وأقيسته ومقولاته . .
والضمير بأحكامه ، والحس الجمالي وال أنا التي تحمل كل تلك
الصفات « من عقل وضمير وحس جمالي وحس أخلاقي » .
وال أنا غير الجسد تماما وغير النفس الحيوانية التي تلهب
بالجوع والشبق .

ال أنا هي الذات العميقة المطلقة وعن طريق هذه الذات
العميقة يشعر الانسان بذلك الشعور العميق بالحضور
والكينونة والشخص والمثل في العالم . . وبأنه هنا وبأنه
كان دائما هنا . . وهو شعور ثابت ممتد لا يطرا عليه التغير
لا يسمن ولا يهزل ولا يمرض ولا يتصف بالزمان . . وليس
فيه ماض وحاضر ومستقبل . . انما هو « آن » مستمر
لا ينصرم كما ينصرم الماضي . . وانما يتمثل في شعور بالدوام
. . بالديمومة .

هنا نوع آخر من الوجود لا يتصف بصفات المادة فلا هو
يطرا عليه التغير ولا هو يتحيز في المكان أو يتزمن بالزمان
ولا هو يقبل الوزن والقياس . . بالعكس نجد أن هذا الوجود
هو الثابت الذي نقيس به المتغيرات والمطلق الذي نعرف به
كل ما هو نسبي في عالم المادة .
وأصدق ما نصف به هذا الوجود انه روعي وأن طبيعته
روحية .

ولنا أن نسال بعد ذلك .
أى الطبيعتين هى الانسان حقا .
هل الانسان بالحقيقة هو جسده أو روحه .
ولنعرف الجواب علينا أن نبحث أى الطبيعتين هى الحاكمة
على الاخرى .

يقول لنا الماديون أن الانسان هو جسده ، وأن الجسد هو
الحاكم وأن كل ما ذكرت من عقل ومنطق وحس جمالى وحس
أخلاقي وضمير وهذه « التخريفة » التى اسمها الذات أو ال أنا
كل هذا ملحق بالجسد ثانوى عليه تابع له يأتى بأمره ويقوم
على خدمته ويتولى اشباع شهواته وأهوائه .

هذا كلام اخواننا الماديين وهو خطأ ، فالحقيقة أن الجسد
تابع وليس متبوعا مأمور وليس آمرا ألا يجوع الجسد فنرفض
امداده بالطعام لاننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله . . ألا يتحرك
بشهوة فنزجره ؟!

ألا نصحو فى الصباح فيبدأ الجسد تلقائيا فى تنفيذ خطة
عمل وضعها العقل وصنف بنودها بندا بندا . . من ساعة
الى ساعة . . من التابع هنا ومن المتبوع ؟

ولحظة التضحية بالنفس حينما يضع الفدائى حزام
الديناميت حول جسده ويتقدم ليحطم الدبابة ومن فيها . .
أين جسده هنا . . أين المصلحة المادية التى يحققها بموته . .
ومن الذى يأمر الآخر . . ان الروح تقرر اعدام الجسد فى لحظة
مثالية تماما لا يمكن أن يفسرها مذهب مادي بأى مكسب مادي
والجسد لا يستطيع أن يقاوم هذا الامر . . ولا يملك أى قوة
لمواجهته ، لا يملك الا أن يتلاشى تماما . . وهنأ يظهر أى
الوجودين هو الاعلى . . وأى الطبيعتين هى الانسان حقا .

وعندنا اليوم أكثر من دليل على أن الجسد هو الوجود
الثانوى . . ما يجرى الآن من حوادث البتر والاستبدال وزرع
الاعضاء . . وما نقرؤه عن القلب الالكترونى والكلية الصناعية
وبنك الدم وبنك العيون ومخازن الاكسسوار البشرى حيث

تأتى عليك لحظة وأنت فى أسانسير متحرك لا تستطيع ان تعرف هل هو واقف أم متحرك لانك أصبحت قطعة واحسدة معه فى حركته . . . لا تستطيع ادراك هذه الحركة الا اذا نظرت من باب الاسانسير الى الرصيف الثابت فى الخارج .

ونفس الحالة فى قطار يسير بنعومة على القضبان . . . لا تدرك حركة مثل هذا القطار وأنت فيه الا لحظة شروعه فى الوقوف او لحظة اطلالك من النافذة على الرصيف الثابت فى الخارج .

وبالمثل لا يمكنك رصد الشمس وأنت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر او الارض . . . كما لا يمكنك رصد الارض وأنت تسكن عليها وانما تستطيع رصدها من القمر .

لا تستطيع أن تحيط بحالة الا اذا خرجت خارجها .

ولهذا ما كنا لنستطيع ادراك مرور الزمن لولا أن الجزء المدرك فينا يقف على عتبة منفصلة وخارجة عن هذا المرور الزمنى المستمر « أى على عتبة خلود » .

ولو كان ادراكنا يقفز مع عقرب الثواني كل لحظة لما استطعنا أن ندرك هذه الثواني أبدا . ولانصرم ادراكنا كما تنصرم الثواني بدون أن يلاحظ شيئا .

وهى نتيجة مذهلة تعنى ان هناك جزءا من وجودنا خارجا عن اطار المرور الزمنى « أى خالد » هو الذى يلاحظ الزمن من عتبة سيكون ويدركه دون أن يتورط فيه ولهذا لا يكبر ولا يشيخ ولا يهرم ولا ينصرم . . . ويوم يسقط الجسد ترابا سوف يظل هذا الجزء على حاله حيا حياته الخاصة غير الزمنية هذا الجزء هو الروح .

وكل منا يستطيع أن يحس بداخله هذا الوجود الروحى على صورة حضور وديمومة وشخص وكيونة مغايرة تماما للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه .

هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطنى والتى أسميتها حالة حضور . . . هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحى بداخلنا ويضع يدنا على هذا اللغز الذى اسمه الروح . . .

ودليل آخر على طبيعتنا الروحية هو شعورنا الفطري بالحرية،

ولو كنا أجساما مادية ضمن اطار حياة مادية تحكمنا القوانين المادية الحتمية لما كان هناك معنى لهذا الشعور الفطري بالحرية .
لنسا روح اذن تعسلو على الزمن وتتخطى الموت وتتخطى الحتميات المادية .

ماذا عن البعث اذن .

لم يعد أحد بعد الموت ليخبرنا ماذا جرى له .
ولم يأت يوم البعث لنقدم دليلا ملموسا وشاهدا عيان .
وكل ما يمكن قوله في موضوع البعث أنه حقيقة دينية يرجحها العقل والعلم .
لماذا يرجحها العقل والعلم ؟

لان شواهد الوجود وظواهره تشير جميعها الى أن هناك عودة على بدء ودورة لكل شيء . . بعد النهار يأتي الليل ثم يعود من جديد فيأتي النهار ، الشمس تشرق ثم تغرب ثم تعود فتشرق .

الصيف والخريف والشتاء والربيع ثم تعود فتتكرر الدورة من جديد فيأتي الصيف ثم الخريف ثم الشتاء الخ . . بعد اليقظة ونوم الليل نعود فنستيقظ من جديد . . وهذا يرجح أنه بعد رقود الموت هناك صحوة بعث . . لان هناك عودة لكل شيء . . والله يسمى نفسه في القرآن المبدئ والمعيد .

(كما بدأكم تعودون) ٢٩ - الاعراف

(يبدأ الخلق ثم يعيده) ٤ - يونس

الا يدور كل شيء في فلك من الذرة الى المجرة، حتى الحضارات لها دورات والتاريخ له دورات .

هذا العود الابدئ في كل شيء يرجح البعث .

الدليل الآخر على البعث هو النظام المحكم الذي ليس فيه بادرة خلل واحدة من أكبر المجرات حتى أصغر الذرات حتى الالكترون الذي لا يرى نجد النظام والقانون يهيمن على كل شيء . . حتى الالكترون المتناهي في الصغر لا يستطيع أن ينتقل من فلك الى فلك في الذرة الا اذا أعطى أو أخذ مقدارا من الطاقة يساوى حركته . . وكأنه راكب قطار لا يستطيع

السفر الى أى مكان بدون تذكرة .. فكيف نتصور فى هذا النظام المحكم أن يهرب قاتل أو يفر ظالم من الجزاء لمجرد أنه ضلل البوليس ، ان العقل يتصور انه لابد سيلقى جزاءه حتماً، وان هناك لابد عالماً آخر يسوى فيه الحساب .. هكذا يقول العدل .
ونحن مفطورون على تحرى العدل وعلى حب العدل والبحث عن العدل ومحاولة تحقيق العدل .

ومع ذلك فالعدل فى الدنيا غير موجود .
وكما يقول أهل الفكر اذا كان الظلم الى الماء يدل على وجود الماء .. فلا بد أن الظلم الى العدل يدل على وجود العدل .. فان لم يكن موجوداً فى دنيانا فلا بد أن له يوماً وساعة تنصب فيها موازينه .

كل هذه مؤشرات تشير وترجح أن هناك بعثاً وحساباً وعالماً آخر .

والمؤمن الذى يصدق القرآن فى غير حاجة الى هذه الاستدلالات لانه آمن بقلبه وأراح نفسه من الجدل .
يبقى بعد ذلك أن نسأل .. وما الروح .

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ٨٥ - الاسراء

هى لغز ولا أحد يعلم عنها شيئاً .
والعجيب انه كلما جاء ذكر الروح فى القرآن ذكرت معها كلمة من أمر ربي .

(يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) ١٥ - غافر .

(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده)

٢ - النحل

(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

٤ - القدر

(وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا) ٥٢ - الشورى

دائماً كلمة « من أمرنا » .. « من أمره » .. « من أمر ربي »

كلما ذكرت الروح .

أىكون أمر الله روحاً ؟

وكلمة الله روحا ؟
ألم يقل الله عن المسيح عليه السلام انه :
(كلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) ٤٥ - آل عمران
وانه :
(كلمته القاها الى مريم وروح منه) ١٧١ - النساء
الكلمة .. الامر .. الروح .. هل هي الفاظ مترادفة
لمعنى واحد ؟

هي مجرد اشارات .
ولا أحد يعلم الحقيقة الا العليم .
يبقى بعد ذلك سؤالك عن تحضير الارواح .
وتحضير الارواح عندنا أمر مشكوك فيه .
مشكوك فيه إن ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور روح
فلان أو علان .
ومفكر كبير مثل هنري سودر يقول : ان تلك الظواهر
مصدرها العقل الباطن للوسيط والقوى الروحية للوسيط
ذاته .. ولا شيء يحضر بالمرّة .
ويقول المفكرون الهنود : ان الذى يتلبس الوسيط أثناء
التحضير هي أرواح سفلية تعرف بعض الاشياء عن الموتى
وتستخدمها فى السخرية بعقول الموجودين والضحك عليهم .
ويقول الصوفية المسلمون ان الذى ينحضر فى تلك الجلسات
ليس الروح ولكن القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت
أثناء حياته .. وهو يحكم هذه الصحبة يعرف أسرار ..
ولان الجن معمر فانه يبقى حيا بعد موت صاحبه .. وهو الذى
يحضر الجلسات ويفشى أسرار صاحبه ويقلد صوته وعاداته
ليسخر من الموجودين على عادة الجن فى عدائهم للانسان .
وهم يقولون : اننا اذا دققنا جرس المكتب فان الذى يحضر
هو الخادم .. أما السادة فانهم لا يتركون عالمهم ويحضرون
بهذه السذاجة وبالمثل فى عالم الارواح .. فالذى يحضر فى
الجلسات ويهرج على الموجودين هي الارواح السفلية والجن ومن
فى مستواهم .

أما الارواح البشرية فهي فى عالم آخر هو عالم البرزخ ولا يمكن استحضارها .. ولكنها قد تتصل بمن تحب فى الحلم أو فى اليقظة اذا توفرت الظروف الملائمة .

ومن الجلسات الكثيرة التى حضرناها ومما جمعنا من خبرة خاصة فى هذا الموضوع نقول : انه لا يوجد دليل واحد على أن ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور الروح المطلوبة .

وربما كان رأى الصوفية المسلمين أكثر الآراء تفسيراً لما يحدث .

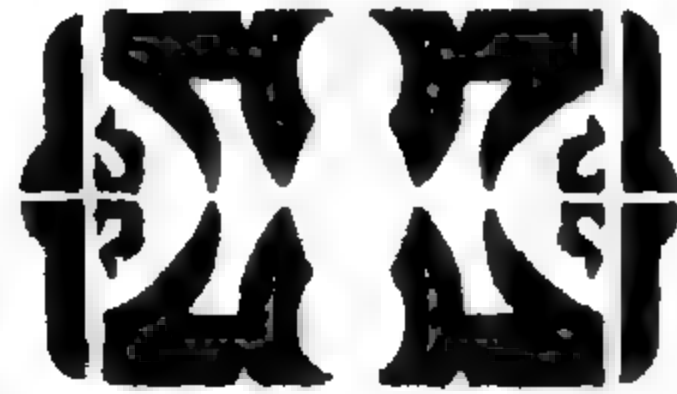
والسألة ما زالت قيد البحث .

وللاسف الشعوريات فى هذا الموضوع أكثر من الحقائق .. والكلمة الاخيرة لم تقل بعد .

ولا شك أنك سوف تضحك على كلمات مثل الجن والارواح السفلية .. والقرين .

ولك عذرك .. فاذا كنت لا تؤمن بروحك أنت فكيف يتوقع منك أن تؤمن بجنى .. واذا كنت لا تؤمن بالله فكيف ينتظر منك أن تؤمن بشياطينه .

ومع ذلك لو كنت ولدت منذ مائة سنة وجاءك رجل يحدثك عن أشعة غير منظورة تخرق الحديد ، وصور تنتقل فى الهواء عبر المحيطات فى أقل من ثانية ، ورائد فضاء يمشى على تراب القمر .. ألم تكن تضحك وتقهقه وتستلقى على قفاك أضعاف ما تضحك الآن .. وتقول لنفسك .. هذا رجل هارب من مستشفى المجاذيب ومع ذلك فى لها من حقائق ملء السمع والبصر الآن .



● الضمير

قال صاحبي :

- أنتم تتكلمون عن الضمير في تقديس كما لو كان شيئا مطلقا مع انه أحد المصنوعات الاجتماعية ، عملة نحاسية لا أكثر صكت ودمغت وسبكت في فرن التعاملات الاجتماعية وهو عندنا شيء تتغير أحكامه وضوابطه وفق المصالح الجارية والقيمة التي تفيد نقول عنها خيرا والقيمة التي تضر نقول عنها شرا ولو كانت هذه القيمة هي العفة التي تتمسكون بها كميونكم .

قلت له في هدوء :

- نعم .. هذا هو رأى الفلسفة المادية على ما أسمع ..
ان الضمير سلطة زجر وردع نبئت من الدواعي الاجتماعية ..
مجرد تحصيل خيرة تتفاوت بين شخص وشخص وبين عصر وعصر وبين أمة وأمة ..
هذا كلامكم .
ولكن الحقيقة غير ذلك .

الحقيقة أن الضمير نوز وضعه الله في الفطرة ومؤشر ودليل

وبوصلة نولد بها .. تهدينا الى الحقائق وكل دور الاكتساب
الاجتماعى انه يجلو مرآة هذه البوصلة ويصقل زجاجها .
ولنا على ذلك براهين تؤيدنا وتشجب كلامكم .
انظر الى عالم الحيوان حيث لا مجتمع . ترى القطة تتبرز
ثم تستدير لتغطى فضلاتها بالتراب ، فى أى مجتمع قططى
تعلمت القطة هذا الوازع ؟

وكيف ميزت بين القذارة والنظافة ؟
وانت ترى القطة تسرق السمكة فاذا ضبطتها وضربتها على
رأسها طأطأت ونكست بصرها فى احساس واضح بالذنب ..
وتراها تلهو مع الاطفال فى البيت فتكسر فازه أثناء اللعب ..
فماذا يحدث ، انها تجرى فى فزع وتختبئ تحت الكراسى وقد
أدركت أنها أخطأت .
كل هذه شواهد وملامح ضمير .

وليس فى مملكة القطط دواع لنشأة هذه المشاعر ..
ولا نرى حتى مجتمعا قططيا من الاساس .
وتقاليد الوفاء الزوجى فى الحمام .
وتبل الحصان فى ارتباطه بصاحبه حتى الموت .
وكبرياء الاسد وترفعه عن الهجوم على فريسته من الخلف .
وخجل الجمل وتوقفه عن مضاجعة أنثاه اذا وجد أن هناك
عيناً ترقبه .

ثم تلك الحادثة البليغة التى رآها جمهور المشاهدين فى
السيرك القومى بالقاهرة .. حينما قفز الاسد على المدرب
محمد الحلو من الخلف وأنشب مخالبه فى كتفه وأصابه
بجرح قاتل .

وبقية الحادثة يرويها موظفو السيرك .. كيف امتنع الاسد
عن الطعام .. وحبس نفسه فى زنزانته لا يبرحها .. وكيف
نقلوه الى حديقة الحيوان وقدموا له أنثى لتروح عنه فضربها
وطردها .. وظل على صيامه ورفضه للطعام ثم انقض على يده
لآثمة وظل يمزقها حتى نزف ومات .

حيوان ينتحر ندما وتكفيرا عن جريمته .
من أى مجتمع فى دنيا السباع أخذ الاسد هذه التقاليد . .
هل فى مجتمع السباع أن افتراس الانسان جريمة تدعو
الى الانتحار .

نحن هنا أمام نبل وخلق وضمير لا نجدده فى بشر .
ونحن أمام فشل كامل للتفسير المادى وللتصور المادى
لحقيقة الضمير .

ولا تفسير لما نراه سوى ما يقوله الدين . . من أن الضمير
هو نور وضعه الله فى الفطرة وان كل دور الاكتساب الاجتماعى
أن يجلو صدا النفس فتشف عن هذا النور الالهى .

وهذا هو ما حدث بين الاسد ومدربه . . المعاشرة والمحبة
والمصاحبة صقلت تلك النفس الحيوانية فايقظت ذلك القبس
الرحمانى . . فاذا بالاسد يحزن ويندم وينتحر كمدا كالبشر .

« الحلال بين والحرام بين » . . كما قال نبينا عليه
الصلاة والسلام .

« استفت قلبك وان أفتاك الناس » .
لسنا فى حاجة الى كلية شريعة لنعرف الخطأ من الصواب
والحق من الباطل والحرام من الحلال . . فقد وضع الله فى قلب
كل منا كلية شريعة . . وميزانا لا يخطئ ، وكل ما نحن
مطالبون به أن نجلو نفوسنا من غواشى المادة ومن كثافة
الشهوات فنبصر ونرى ونعرف ونميز بدون عكاز « الخبرة
الاجتماعية » وذلك بنور الله الذى اسمه الضمير .

(يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

٢٩ - الانفال

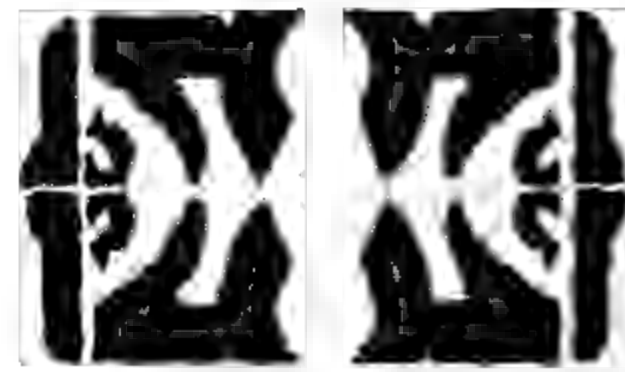
يقول الله فى الحديث القدسى للصوفى محمد بن عبد الجبار :

« كيف تياس منى وفى قلبك سفيرى ومتحدثى » .

الضمير حقيقة ثابتة والقيم الاخلاقية الاساسية هى بالمثل
ثابتة فقتل البرىء لن يصبح يوما ما فضيلة وكذا السرقة

والكذب وايداء الآخرين والفحشاء والفجور والبذاءة والغلظة
والقسوة والنفاق والحيانة كل هذه نقائص خلقية ، وسوف
تظل هكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وكذلك سوف تظل المحبة والرحمة والصدق والحلم والعفو
والاحسان فضائل .. ولن تتحول الى جرائم الا اذا فسدت
السموات والارض وساد الجنون وانتهى العقل .



● هل مناسك الحج

وثنية؟

قال صاحبي وهو يفرك يديه ارتياحا ويبتسم ابتسامة خبيثة تبدى نواجذه وقد لمعت عيناه بذلك البريق الذي يبدو في وجه الملاك حينما يتأهب لتوجيه ضربة قاضية .
- ألا تلاحظ معي أن مناسك الحج عندكم هي وثنية صريحة .
ذلك البناء الحجري الذي تسمونه الكعبة وتمسحون به وتطوفون حوله ، ورجم الشيطان .. والهرولة بين الصفا والمروة ، وتقبيل الحجر الاسود .. وحكاية السبع طوفات والسبع رجعات والسبع هرولات وهي بقايا من خرافة الارقام الطلسمية في الشعوب القديمة ، وثوب الاحرام الذي تلبسونه على اللحم .. لا تؤاخذني اذا كنت أجرحك بهذه الصراحة ولكن لا حياء في العلم .
وراح ينفث دخان سيجارته ببطء ويراقبني من وراء نظارته .
قلت في هدوء :

- ألا تلاحظ معي أنت أيضا أن في قوانين المادة التي درستها أن الاصغر يطوف حول الاكبر ، الالكترون في الذرة يدور حول النواة ، والقمر حول الارض ، والارض حول الشمس ، والشمس

حول المجرة ، والمجرة حول مجرة اكبر ، الى ان نصل الى «الأكبر مطلقا» وهو الله . . . الا نقول «الله أكبر» . . . أى أكبر من كل شيء . . . وبالتالي وحسب قانونك العلمى يجب أن يطوف حوله كل شيء . . . وأنت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية رغم أنك ولا تملك الا أن تطوف فلا شيء ثابت فى الكون الا الله هو الصمد الصامد الساكن والكل فى حركة حوله . . . وهذا هو قانون الاضطر والأكبر الذى تعلمته فى الفيزياء . . . اما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله . . . وهو أول بيت اتخذ الانسان لعبادة الله . . . فأصبح من ذلك التاريخ السحيق رمزا وبيتا لله . . . ألا تطوفون أنتم حول رجل محنط فى الكرملين تعظمونه وتقولون انه أفاد البشرية ، ولو عرفتم لشكسبير قبرا لتسابقتم الى زيارته بأكثر مما فتسابق الى زيارة قبر محمد عليه الصلاة والسلام . . . ألا تضعون باقة ورد على نصب حجرى وتقولون انه يرمز للجندى المجهول فلماذا تلوموننا لاننا نلقى حجرا على نصب رمزى نقول انه يرمز الى الشيطان . . . ألا تعيش فى هرولة من ميلادك الى موتك ثم بعد موتك يبدأ ابنك الهرولة من جديد وهى نفس الرحلة الرمزية من الصفا «الصفاء أو الخواء أو الفراغ رمز للعدم» الى المروة وهو النبع الذى يرمز الى الحياة والوجود . . . من العدم الى الوجود ثم من الوجود الى العدم . . . ليست هذه هى الحركة البندولية لكل المخلوقات . . . ألا ترى فى مناسك الحج تلخيصا رمزيا عميقا لكل هذه الاسرار .

ورقم ٧ الذى تسخر منه . . . دعنى أسالك ما السر فى أن درجات السلم الموسيقى ٧ صول لا سى دو رى مى فا ثم بعد المقام السابع يأتى جواب الصول من جديد . . . فلا نجد ٨ وانما نعود الى سبع درجات أخرى وهلم جرا ، وكذلك درجات الطيف الضوئى ٧ وكذلك تدور الالكترونات حول نواة الذرة فى نطاقات ٧ والجنين لا يكتمل الا فى الشهر ٧ واذا ولد قبل ذلك يموت وأيام الاسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشرى ٧ وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا . . . ألا يدل ذلك على

شيء . . . أم أن كل هذه العلوم هي الأخرى شعوذات طلسمية .
ألا تقبل خطابا من حبيبته . . . هل أنت وثني ؟ فلماذا تلومنا
إذا قبلنا ذلك الحجر الأسود الذي حملته نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام في ثوبه وقبله . لا وثنية في ذلك بالمرّة . .
لأننا لا نتجه بمناسك العبادة نحو الحجارة ذاتها . . وإنما
نحو المعاني العميقة والرموز والذكريات .

إن مناسك الحج هي عدة مناسبات لتحريك الفكر وبعث
المشاعر وإثارة التقوى في القلب . أما ثوب الاحرام الذي
نلبسه على اللحم ونشترط ألا يكون مخيطا فهو رمز للخروج
من زينة الدنيا وللتجرد التام أمام حضرة الخالق . . تماما كما
نأتى الى الدنيا في اللفة ونخرج من الدنيا في لفة وندخل القبر
في لفة . . ألا تشترطون أنتم لبس البدل الرسمية لمقابلة الملك
ونحن نقول : انه لا شيء يليق بجلالة الله الا التجرد وخلع جميع
الزينة لانه أعظم من جميع الملوك ولانه لا يصلح في الوقفة
أمامه الا التواضع التام والتجرد . . ولان هذا الثوب البسيط
الذي يلبسه الغنى والفقير والمهراجا والمليونير أمام الله فيه معنى
آخر للاخوة رغم تفاوت المراتب والثروات .

والحج عندنا اجتماع عظيم ومؤتمر سنوي . . ومثله
صلاة الجمعة وهي المؤتمر الصغير الذي نلتقي فيه كل أسبوع .
هي كلها معان جميلة لمن يفكر ويتأمل . . وهي أبعد ما تكون
عن الوثنية .

ولو وقفنا معي في عرفة بين عدة ملايين يقولون الله أكبر
ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لغة ويهتفون لبيك اللهم لبيك
ويكونون يذوبون شوقا وحبا - لبيك أنت أيضا دون أن
تدري وذببت في الجمع الغفير من الخلق . . وأحسست بذلك
الفناء والخسوع أمام الاله العظيم مالك الملك الذي بيده
مقاليد كل شيء .

● لماذا لا يكون القرآن من تأليف محمد ؟

قال صاحبي وهو ينتقى عباراته :

- لا أريد أن أجرحك فانا أعلم اعتزازك بالقرآن وأنا معك في أنه كتاب قيم .. ولكن لماذا لا يكون من تأليف محمد .. ان رجلا في عظمة محمد لا يستغرب منه أن يضع كتابا في عظمة القرآن .. وسوف يكون هذا منطقيا أكثر من أن نقول ان الله أنزله . فانا لم نر الله ينزل من السماء شيئا .. ونحن في عصر من الصعب أن نقنع فيه انسانا بأن هناك ملاكا اسمه جبريل نزل من السماء بكتاب ليوحى به الى أحد .

قلت في هدوء :

- بل نحن في عصر يسهل فيه تماما أن نصدق بأن هناك ملائكة لا ترى وبأن الحقائق يمكن أن تلقى الى الانسان وحيا .. فهم يتكلمون اليوم عن أطباق طائرة تنزل على الارض من كواكب بعيدة . واسمعة غير منظورة تقتل ، وأمواجا لاسلكية تحدد الاهداف وتضربها .. وصورا تتحول الى ذبذبات في الهواء ثم تستقبل في أجهزة صغيرة كعلب التبغ .. وكاميرات تصور الاشباح ..

وعيوننا ترى فى الظلام .. ورجلا يمشى على القمر .. وسفينة
تنزل على المريخ .

لم يعد غريبا أن نسمع أن الله أرسل ملكا خفيا من ملائكته ..
وأنه القى بوحيه على أحد أنبيائه .. لقد أصبح وجود جبريل
اليوم حقيقة من الدرجة الثانية .. وأقل عجبا وغرابة مما نرى
ونسمع كل يوم .

أما لماذا لا نقول أن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة
والسلام .. فلأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى
عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغى ودقة لغوية هو مما
لا يدخل فى قدرة بشر أن يؤلفه .. فاذا أضفنا الى ذلك أن
محمدًا عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم
يتعلم فى مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة
العربية فان احتمال الشك واحتمال القاء هذا السؤال يغدو
مستحيلا .. والله يتحدى المنكرين أمثالك ممن زعموا أن القرآن
مؤلف .

(قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله)

٣٨ - يونس

استعينوا بالجن والملائكة وعباقره الانس وأتوا بسورة من
مثله .

وما زال التحدى قائما ولم يأت أحد بشيء .
واذا نظرنا الى القرآن فى حياد وموضوعية فسوف نستبعد
تماما ان يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو مؤلفه .. أولا ..
لانه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه فى عام
واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبا طالب ولا سند له فى الحياة
غيرهما .. وفجيئته فيهما لا تقدر .. ومع ذلك لا يأتى لهما
ذكر فى القرآن ولا كلمة .. وكذلك يموت ابنه ابراهيم ويبيكه
ولا يأتى لذلك خبر فى القرآن .. القرآن معزول تماما عن
الذات المحمدية .

بل ان الآية لتأتى مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه ..
وأحيانا تنزل الآية معاتبه له كما حدث بصدد الاعمى الذى

انصرف عنه النبي الى اشراف قريش .
(عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر
فتنفعه الذكرى) ١ - ٤ عبس

وأحيانا تنزل الآية فتنقض عملا من أعمال النبي .
(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة . . لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) ٦٧ - الانفال

وأحيانا يأمر القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقول
لاتباعه ما لا يمكن ان يقوله لو انه كان يؤلف الكلام تأليفا .
(قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم)
٩ - الاحقاف

لا يوجد نبي يتطوع من تلقاء نفسه ليقول لاتباعه لا ادري
ما يفعل بي ولا بكم . . لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا . . ولا املك
لكم ضرا ولا نفعا . .

فان هذا يؤدي الى ان ينفض عنه اتباعه . .
وهذا ما حدث فقد اتخذ اليهود هذه الآية عذرا ليقولوا . .
ما نفع هذا النبي الذي لا يدري ماذا يفعل به ولا بنا . . هذا
رجل لاجدوى فيه . .
مثل هذه الآيات ما كان يمكن ان يؤلفها النبي لو كان يضع
القرآن من عند نفسه .

ثانيا - لو نظرنا بعد ذلك في العبارة القرآنية لوجدنا انها
جديدة منفردة في وصفها وبنائها ومعمارها ليس لها شبيه فيما
سبق من أدب العرب ولا شبيه فيما اتى لاحقا بعد ذلك . .
حتى لتكاد اللغة تنقسم الى شعر ونثر وقرآن . . فنحن أمام
كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشعر . فموسيقى
الشعر تأتي من الوزن ومن التقفية فنسمع الشاعر ابن البرص
الاسدي ينشد :

أقفر من : أهله عبيد
فليس يبدي ولا يعيد

هنا الموسيقى تخرج من التشطير ومن التفقيه على الدال
الممدودة ، فهي موسيقى خارجية .. أما موسيقى القرآن فهي
موسيقى داخلية .

(والضحي والليل اذا سجي) ١ - الضحي
لا تشطير ولا تقفية في هذه العبارة البسيطة ولكن الموسيقى
تقطر منها .. من اين .. انها موسيقى داخلية .
اسمع هذه الآيات .

(رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم ان
بدعائك رب شقيا) ٤ - مريم
وهذه الآيات .

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى
تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى . الرحمن على العرش
استوى) طه - ١ - ٤

فاذا تناولت الايات تهديدا تحول بناء العبارة ونحتها الى
جلاميد صخر وأصبح للايقاع صلصلة نحاسية تصغ السمع .
(انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر) ١٩ - ٢٠ القمر
كلمات مثل « صرصرا » .. « ومنقعر » .. كل كلمة كأنها
جلمود صخر .

فاذا جاءت الآية لتروى خبرا هائلا كما في نهاية الطوفان
تقاصرت العبارات وكأنها اشارات مورس التلغرافية ،
واصبحت الآية كلها كأنها تلغراف مقتضب له وقع هائل
(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي وغيض الماء
وقضي الامر) ٤٤ - هود

هذا التلون في نحت الالفاظ وفي بناء العبارة وفي ايقاع
الكلمات مع المعاني والمشاعر .. يبلغ في القرآن ذروة ..
ويأتى دائما منسابا لا تكلف فيه ولا تعمل .

ثالثا - اذا مضينا فى التحليل أكثر فانا سنكتشف الدقة البالغة والاحكام المذهل .. كل حرف فى مكانه لا تقديم ولا تأخير .. لاتستطيع أن نضع كلمة مكان كلمة ولا حرفا مكان حرف .. كل لفظة تم اختيارها من مليون لفظة بميزان دقيق . وسنرى ان هذه الدقة البالغة لا مثيل لها فى التأليف .

انظر الى هذه الكلمة « لواقح » فى الآية

(وأرسلنا الرياح لواقح) ٢٢ - الحجر

وكانوا يفسرونها فى الماضى على المعنى المجازى بمعنى أن الرياح تثير السحب فتسقط المطر فيلقح الارض بمعنى « يخصبها » ثم عرفنا اليوم أن الرياح تسوق السحب ايجابية التكهرب وتلقى بها فى أحضان السحب سالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر .. وهى بهذا المعنى « لواقح » أيضا ونعرف الآن أيضا أن الرياح تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة فتلقحها بالمعنى الحرفى .

فها نحن أمام كلمة صادقة مجازيا وحرفيا وعلميا ثم هى بعد ذلك جميلة فنيا وأديبا وذات ايقاع حلو .

هنا نرى منتهى الدقة فى انتقاء اللفظة ونحتها ، وفى آية أخرى .

(لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتداولوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) ١٨٨ - البقرة

كلمة « تداولوا » .

مع أن الحاكم الذى تلقى اليه الاموال فى الاعلى وليس فى الاسفل .. لا .. ان القرآن يصحح الوضع .. فاليد التى تأخذ الرشوة هى اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم .. ومن هنا جاءت كلمة « تداولوا بها الى الحكام » لتعبر فى بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتشى وسفله .

وفى آية الجهاد .

(مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض) ٣٨ - التوبة

القرآن يستعمل كلمة « اثاقلتم » بدلا من ثاقلتم .. يدمج الحروف ادماجا ويلصقها الصاقا ليعبر عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالارض « ويتربسون » فيها من الخوف اذا دعوا الى القتال فجاءت حروف الكلمة بالمثل « متربسة » .

وفى آية قتل الاولاد من الفقر نراها جاءت على صورتين :
(ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)

١٥١ - الانعام

(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)

٣١ - الاسراء

والفرق بين الآيتين لم يأت اعتباطا وانما جاء لأسباب محسوبة .. فحينما يكون القتل من املاق فان معناه أن الاهل فقراء في الحاضر فيقول نحن « نرزقكم » واياهم . وحينما يكون قتل الاولاد خشية املاق فان معناه أن الفقر هو احتمال في المستقبل ولهذا تشير الآية الى الابناء فتقول نحن « نرزقهم » واياكم . مثل هذه الفروق لا يمكن أن نخطر على بال مؤلف . وفي حالات التقديم والتأخير نجد دائما انه لحكمة . نجد أن السارق مقدم على السارقة في آية السرقة بينما الزانية مقدمة على الزاني في آية الزنا .. وذلك لسبب واضح أن الرجل أكثر ايجابية في السرقة .. أما في الزنا فالمرأة هي التي تأخذ المبادرة .. من لحظة وقوفها أمام المرأة تضع البارفان ولمسات التواليت وتختار الفستان أعلى الركبة فانها تنصب الفخاخ للرجل الموعود .

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)

٢ - النور

(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) ٣٨ - المائدة

وبالمثل تقديم السمع على البصر في أكثر من ١٦ مكانا .

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧٨ - النحل

(وجعلنا لهم سمعا وابصارا وأفئدة) ٢٦ - الاحقاف

(اسمع بهم وأبصر) ٣٨ مريم

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

٣٦ - الاسراء

(وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم)

٢٢ - فصلت

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ١١ الشورى

دائما السمع أولا .

ولا شك ان السمع أكثر ارهاقا وكمالا من البصر .

اننا نسمع الجن ولا نراه .

والانبياء سمعوا الله وكلموه ولم يره أحد .

وقد تلقى محمد عليه الصلاة والسلام القرآن سمعا . . والام

تميز بكاء ابنها في الزحام ولا تستطيع ان تميز وجهه . .

والسمع يصاحب الانسان أثناء النوم فيظل صاحيا بينما تنام

عيناه ، ومن حاول تشريح جهاز السمع يعلم أنه أعظم دقة

وارهاقا من جهاز البصر .

وبالمثل تقديم المال على الولد .

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)

٨٨ - الشعراء

« انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم »

١٥ - التغابن

(لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك

اصحاب النار هم فيها خالدون) ١١٦ - آل عمران

(ايتحسبون ان ما نهدم به من مال وبنيين نسارع لهم في

الخيرات بل لا يشعرون) ٥٥ - المؤمنون

(فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها

في الحياة الدنيا) ٥٥ - التوبة

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته)

٢٠ - الحديد

والامثلة على هذا التقديم كثيرة .

والسر ان المال عند أكثر الناس اعز من الولد . .

ثم الدقة والحفاء واللفظ في الاعراب . انظر الى هذه الآية . .

(وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتوا فاصالحوا بينهما)

٩ - الحجرات

مرة عوملت الطائفتان على أنهما جمع (اقاتلتوا) ومرة على انها مثنى (فاصالحوا بينهما) والسر لطيف . . فالتائفتان في القتال ملتحمان وتصيحان (جمعاً) من الاذرع المتضاربة . . بينما في الصلح تنفصلان الى (اثنين) . . وترسل كل واحدة عنها مندوباً ومن هنا قال :

(وان طائفتان من المؤمنين « اقاتلتوا » فاصالحوا « بينهما ») .

حتى حروف الجر والوصل والمطف تأتي وتمتنع في القرآن لاسباب عميقة وبحساب دقيق محكم . . مثلاً تأتي كلمة « يسألونك » في أماكن عديدة من القرآن :

(يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ - البقرة

(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ٨٥ - الاسراء

(يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

١٨٩ - البقرة

دائماً الجواب بكلمة « قل » . . ولكنها حين تأتي عن

الجبال :

(يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) ١٠٥ - طه

هنا لأول مرة جاءت « فقل » بدلا من « قل » .

والسبب ان كل الاسئلة السابقة كانت قد سئلت بالفعل ،

أما سؤال الجبال فلم يكن قد سئل بعد لانه من أسرار القيامة ،

وكانما يقول الله ، فاذا سألوكم عن الجبال « فقل » . . فجاءت

الفاء زائدة لسبب محسوب .

أما في الآية

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي) .

١٨٦ - البقرة

هنا لا ترد كلمة قل لان السؤال عن ذات الله . . والله

أولى بالاجابة عن نفسه .

كذلك الضمير انا ونحن .

يتكلم الله بضمير الجمع حينما كان التعبير عن «فعل» انهى
شئورك فيه مجموع الصفات الالهية كالخلق وانزال القرآن
وحفظه . .

انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون ٩ - الحجر

(نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ٦٧ - الواقعة

(انا انزلناه فى ليلة القدر ١ - القدر

(افرايتم ما تمنون ، انتم تخلقونه ام نحن الخالقون)

٥٩ - الواقعة

(نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم

تبديلا) ٢٨ - الانسان

« ونحن » هنا تعبر عن جمعية الصفات الالهية وهى تعمل

فى ابداع عظيم مثل عملية الخلق .

اما اذا جاءت الآية فى مقام مخاطبة بين الله وعبده كما فى

موقف المكالمة مع موسى . . تأتى الآية بضمير المفرد .

(اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى)

١٤ - طه

الله يقول « انا » لان الحضرة هنا حضرة ذات ، وتنبيهها منه

سبحانه على مسألة التوحيد والوحدانية فى العبادة .

ونجد مثل هذه الدقة الشديدة فى آيتين متشابهتين عسى

الصبر نفترق الواحدة عن الاخرى فى حرف اللام .

يقول لقمان لولده :

(واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) ١٧ - لقمان

وفى آية اخرى عن الصبر نقرا :

(ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ٤٣ - الشورى

الصبر فى الاولى « من عزم الامور » وفى الثانية « لمن عزم

الامور » . . وسر التوكيد باللام فى الثانية انه صبر مضاعف

لانه صبر على عدوان بشرى لك فيه غريم وانت مطالب فيه

بالصبر والمغفرة وهو امر أشد على النفس من الصبر على القضاء

الالهى الذى لا حيلة فيه .

ونفس هذه الملاحظة عن « اللام » نجدها مرة أخرى فى آيتين
عن انزال المطر وانبات الزرع :

(أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم
نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا «أى مالجا» (٦٩ - الواقعة
وفى آية ثانية :

(أفرايتم ماتحراثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو
نشاء جعلناه حطاما (٦٥ الواقعة

فى الآية الاولى « جعلناه » أجاجا ٠٠ وفى الآية الثانية
« جعلناه » حطاما واللام جاءت فى الثانية لضرورة التوكيد لان
هناك من سوف يدعى بأنه يستطيع ان يتلف الزرع كما يتلفه
الخالق ويجعله حطاما ٠٠ بينما لن يستطيع أحد من البشر ان
يدعى ان فى أمكانه ان ينزل من سحب السماء مطرا مالجا
فلا حاجة الى توكيد باللام ٠٠

ونفس هذه الدقة نجدها فى وصف ابراهيم لربه فى
القرآن بأنه :

(الذى يمتنى ثم يحيى) ٨١ الشعراء

(والذى هو يطعمنى ويسقئ) ٧٩ - الشعراء

فجاء بكلمة « هو » حينما تكلم عن « الاطعام » ليؤكد الفعل
الالهى لانه سوف يدعى الكل انهم يطعمونه ويسقونه ٠٠
بينما لن يدعى أحد بأنه يمتى ويحيى كما يمتى الله ويحيى .
ونجد هذه الدقة أيضا حينما يخاطب القرآن المسلمين
قائلا :

(اذكرونى اذكركم) ١٥٢ - البقرة

ويخاطب اليهود قائلا :

(اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ٤٠ - البقرة

فاليهود ماديون لا يذكرون الله الا فى النعمة والفائدة
والمصلحة ، والمسلمون أكثر شغافية ويفهمون معنى ان يذكر
الله لذاته للمصلحة ٠٠ وبنفس المعنى يقول الله للخاصة من
أولى الالباب :

(اتقونى ياأولى الالباب) ١٩٧ - البقرة

ويقول للعوام :

(اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ٢٤ البقرة
لان العوام لا يردعهم الا النار أما الخاصة فهم يعلمون أن الله
أقوى من كل نار وأنه يستطيع ان يجعل النار بردا وسلاما ان
شاء .

ونجد مثل هذه الدقة البالغة في اختيار اللفظ في كلام
ابليس حينما أقسم على ربه قائلا :

(فبعزتك لأغوينهم أجمعين) ٨٢ - ص

أقسم ابليس بالعزة الالهية ولم يقسم بغيرها فأثبت بذلك
علمه وذكاءه لان هذه العزة الالهية هي التي اقتضت استغناء
الله عن خلقه . . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . ولبن
يضرروا الله شيئا فهو العزيز عن خلقه ، الغنى عن العالمين .
ويقول الله في حديثه القدسي :

« هؤلاء في النار ولا أبالي وهؤلاء في الجنة ولا أبالي » .
وهذا مقتضى العزة الالهية . .

وهي الثغرة الوحيدة التي يدخل منها ابليس . . فهو بها
يستطيع ان يضل ويوسوس لان الله لن يفهر احدا اختار الكفر
على الايمان . . ولهذا قال « فبعزتك » لأغوينهم أجمعين .

(لا قعدن لهم صراطك المستقيم ولا تدينهم من بين أيديهم ومن
خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم) ١٦ - الاعراف

ذكر الجهات الأربع ولم يذكر من فوقهم ولا من تحتهم . .
لان « فوق » الربوبية ، « وتحت » ، تواضع العبودية . . ومن
لزم مكانه الأدنى من ربه الأعلى . . لم يستطع الشيطان ان
يدخل عليه .

ثم ذكر ابليس ان مقعده المفضل للاغواء سوف يكون الصراط
المستقيم . . على طريق الخير وعلى سجادة الصلاة لان تارك
الصلاة والسكر والعربيد ليس في حاجة الى ابليس ليضله
فقد تكفلت نفسه باضلاله . . انه انسان خرب ، ، وابليس
لص ذكي لا يحب ان يضيع وقته بأن يحوم حول البيوت
الحربة .

مثل آخر من أمثلة الدقة القرآنية نجده في سبق المغفرة على العذاب والرحمة على الغضب في القرآن .. قاله في الفاتحة هو الرحمن الرحيم قبل أن يكون مالك يوم الدين .. وهو دائماً يوصف بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . تأتي المغفرة أولاً قبل العذاب إلا في مكانين في آية قطع اليد :

(يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) ٤٠ - المائدة

لان العقوبة بقطع اليد عذاب دنيوى .. تليه مغفرة اخروية .. وفي كلام عيسى يوم القيامة عن المشركين الذين عبدوه من دون الله .. فيقول لربه :

(ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز

الحكيم) ١١٨ - المائدة

فلا يقول فانك انت الغفور الرحيم تأديباً .. ويذكر لهم العذاب قبل المغفرة .. لعظم الاثم الذي وقعوا فيه .

ونجد هذه الدقة القرآنية مرة أخرى في تناول القرآن للزمن .. فالمستقبل يأتي ذكره على لسان الخالق على أنه ماض .. فاحداث يوم القيامة ترد كلها على أنها ماض .

(ولفخ في الصور) ٩٩ - الكهف

(وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) ١٦ - الحاقة

(وبرزت الجحيم للغاوين) ٩١ - الشعراء

(وعرضوا على ربك صفا) ٤٨ - الكهف

والسر في ذلك ان كل الاحداث حاضرها ومستقبلها قد حدثت في علم الله وليس عند الله زمن يحجب عنه المستقبل فهو سبحانه فوق الزمان والمكان ولهذا نقرأ العبارة القرآنية احياناً فنجد انها تتحدث عن زمانين مختلفين وتبدو في ظاهرها متناقضة مثل :

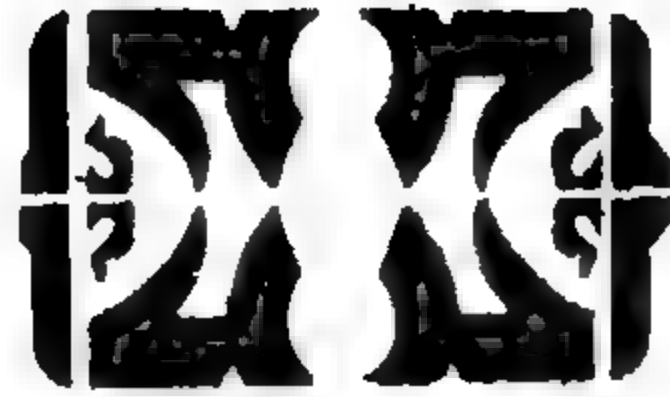
(اتي امر الله فلا تستعجلوه) ١ - النحل

فالامر قد اتي وحدث في الماضي . لكن الله يخاطب الناس بان لا يستعجلوه كما لو كان مستقبلاً لم يحدث بعد .. والسر كما شرحنا انه حدث في علم الله لكنه لم يحدث بعد في علم الناس ولا تناقض .. وانما دقة واحكام وخفاء واستترار

وصدق في المعاني العميقة .

هذه بعض الامثلة للدقة البالغة والنحت المحكم في بناء
العبارة القرآنية وفي اختيار الالفاظ واستخدام الحروف لازيادة
ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير الا بحسب وميزان ولا نعرف
لذلك مثيلا في تأليف أو كتاب مؤلف ولا نجده الا في القرآن .

أما لمحات العلم في القرآن وعجائب الآيات الكونية التي أتت
بالاسرار والحقايات التي لم تكتشف الا في عصرنا ، والتي لم
يعرفها محمد عليه الصلاة والسلام ولا عصره فهي موضوع آخر
يطول ، وله جلسة اخرى .



● القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفاً

قلت لصديقي :

ربما كان حديث اليوم عن لمحات العلم في القرآن أكثر إثارة
لعقلك العلمي من جلستنا السابقة .. فما كآل الفلك الحديث
ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح معروفة حينما
نزلت الآيات الكونية في القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمائة
سنة لتتكلم عن السموات والأرض والنجوم والكواكب وخلق
الجنين وتكوين الإنسان بما يتفق مع أحدث العلوم التي جاء بها
عصرنا .

ولم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب
العلمي المتخصص لأنه جاء في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج
وتشريع .. ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح
لصدم العرب بما لا يفهمونه .. ولهذا لجأ إلى أسلوب الإشارة
واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشفه بعد ذلك
بمئات السنين .. وتظهر للناس جيلاً بعد جيل كآبات

ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق .
(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) ٥٣ - فصلت
لأنهم لم يكتفوا بشهادة الله على كتابه . . فأصبح من
الضرورى أن نريهم ذلك بالآيات الكاشفة .
هكذا يقول الله فى كتابه .

وما زال القرآن يكشف لنا يوما بعد يوم مزيدا من تلك
الآيات العجيبة .

حول كروية الارض جاءت هذه الآيات الصريحة التى
تستخدم لفظ التكوير لتصف انزلاق الليل والنهار كنصفى
كرة .

(يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ٥ - الزمر

ثم الآية التى تصف دحر الارض .

(والارض بعد ذلك دحّاها) ٣٠ - النازعات

ودحا هى الكلمة الوحيدة فى القاموس التى تعنى البسط
والتكوير معا . . والارض كما هو معلوم مبسوطة فى الظاهر
ومكورة فى الحقيقة بل هى أشبه بالدحية « البيضة » فى
تكويرها .

ثم نقرأ إشارة أخرى صريحة عن أن الجبال تسبح فى الفضاء
وبالتالى فالارض كلها تسبح بجبالها حيث هى والجبال كتلة
واحدة .

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
صنع الله الذى اتقن كل شىء) ٨٨ - النمل

فالجبال التى تبدو جامدة ساكنة هى فى الواقع سايحة فى
الفضاء . . وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوين
الهش للمادة . . التى نعرف الآن أنها مؤلفة من ذرات كما أن
السحب مؤلفة من قطرات .

ثم الكلام عن تواقى الليل والنهار دون أن يسبق أحدهما
الآخر من مبدأ الخلق إلى نهايته .

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار) ٤٠ - يس

- ٨٢ -

اشارة اخرى الى كروية الارض . . . حيث بدأ الليل والنهار
معا وفي وقت واحد منذ بدء الخليقة كنصفى كرة ولو كانت
الارض مسطحة لتعاقب النهار والليل الواحد بعد الآخر
بالضرورة . .

ثم تأتي القيامة والارض فى ليل ونهار فى وقت واحد كما
كانت يوم البدء .

(حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاهم امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس) ٢٤ - يونس

وفى قوله ليلا او نهارا . . تأكيد لهذا التوافق الذى لا تفسير
له الا أن نصف الارض محجوب عن الشمس ومظلم والآخر
مواجه للشمس ومضى بحكم كونها كروية ولو كانت مسطحة
لكان لها فى كل وقت وجه واحد ولما صح ان نقول :

(ولا الليل سابق النهار) ٤٠ - يس

ثم تعدد المشارق والمغارب فى القرآن فالله يوصف بأنه :

(رب المشارق والمغارب) ٤٠ - المعارج

و (رب المشرقين ورب المغربين) ١٧ - الرحمن

ولو كانت الارض مسطحة لكان هناك مشرق واحد ومغرب

واحد .

يقول الانسان لشيطانه يوم القيامة :

(ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) ٣٨ - الاعراف

ولا تكون المسافة على الارض ابعد ما تكون بين مشرقين الا اذا

كانت الارض كروية .

ثم الكلام عن السماء بأن فيها مسارات ومجالات وطرقا :

(والسماء ذات الحجب) ٧ - الداريات .

والحجب هى المسارات .

(والسماء ذات الرجج) ١١ - الطارق .

اى أنها ترجع كل ما يرتفع فيها الى الارض . . ترجع بخار

الماء مطرا . . وترجع الاجسام بالجاذبية الارضية . وترجع

الامواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الايونوسفير . . كما

ترجع الاشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة الى الارض بنفس الطريقة فتدفعها في الليل .

وكما تعكس السماء ماينتقذ اليها من الارض كذلك تمتص وتعكس وتشع ماينتقذ اليها من العالم الخارجى وبذلك تحمي الارض من قذائف الاشعة الكونية المميتة والاشعة فوق البنفسجية القاتلة . . فهي تتصرف كأنها سقف .

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) ٣٢ - الانبياء

(والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) ٤٧ - الذاريات

وهو ما يعرف الان باسم تمدد الكون المضطرد .

وكان يقال الذرة يعرف في تلك الايام بأنه أصغر مثقال وكانت الذرة توصف بأنها جوهر فرد لا ينقسم . . فجاء القرآن ليقول بمثاقيل أصغر تنقسم اليها الذرة . . وكان أول كتاب يذكر شيئا أصغر من الذرة .

(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) ٢ - سبأ

كل هذه لمحات كاشفة قاطعة عن حقائق مذهلة مثل كروية الارض وطبيعة السماء والذرة وهي حقائق لم تكن تخطر على بال عاقل أو مجنون في هذا العصر البائد الذي نزل فيه القرآن .

ثم بصيرة القرآن في تكوين الانسان وكلامه عن النطفة المنوية وانفرادها بتحديد جنس المولود .

(والذي خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمهي)

٤٥ - النجم

وهي حقيقة بيولوجية لم تعرف الا هذا الزمان . . ونحن نقول الآن ان رأس الحيوان المنوي هو وحده الذي يحتوى على عوامل تحديد الجنس Sex Determination Factor

وتسوية البنان بما فيه من رسوم البصمات التي أوردها الله في مجال التحدى عن البعث والتجسيد .

(ايعسب الانسان ان لن نجمع عظامه بل قادرين على ان

نسوي بنانه) ٣ - ٤ - القيامة

بل سوف نجسد حتى ذلك البنان ونسويه كما كان . .

وفي ذلك لفظة الى الاعجاز الملحوظ في تسوية البنان بحيث لا يتشابه فيه اثنان :

وأوهن البيوت في القرآن هو بيت العنكبوت .. لم يقل الله خيط العنكبوت بل قال بيت العنكبوت .. وخيط العنكبوت كما هو معلوم أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات .. إنما الوهن في البيت لا في الخيط .. حيث يكون البيت أسوأ ملجأ لمن يجتمى فيه فهو مصيدة لمن يقسح فيه من الزوار الغرباء .. وهو مقتل حتى لأهله فالعنكبوت الأثني تأكل زوجها بعد التلقيح .. وتأكل أولادها عند الفقس والأولاد يأكل بعضهم بعضا .

إن بيت العنكبوت هو أبلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير .

ومكذأ حال من يلجأ لغير الله .. وهنا بلاغة الآية :
(مثل الذين اتخلوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) ٤١ - العنكبوت

وجاءت خاتمة الآية عبارة .. « لو كانوا يعلمون » .. إشارة الى انه علم لن يظهر الا متأخرا .. ومعلوم أن هذه الاسرار البيولوجية لم تظهر الا متأخرة .
كذلك نجد في سورة الكهف :

(ولبثوا في كهلهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)
٢٥ - الكهف

ونعرف الآن ان ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تساوئ ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمري باليوم والدقيقة والثانية .
وفي سورة مريم يحكى الله تبارك وتعالى عن مريم وكيف جاءها المخاض فأوت الى جذع النخلة وهي تتمنى الموت فنأداها المنادى ان تهز بجذع النخلة وتأكل ما يتساقط من رطب جنى .
(فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فنأداها من تحتها الا تحزننى فله جعل

وبك تحتك سرىا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً
جنياً فكلى واشربى وقرى عينا (٢٣ - ٢٤ - ٢٥ مريم
ولماذا الرطب !!)

ان احدث بحث علمى عن الرطب يقول ان فيه مادة قابضة
للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة
مثل مادة Oxytocin وان فيه مادة ملينة . . ومعلوم طبيا ان
المليينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها
للقولون .

ان الحكمة العلمية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع
مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة .
هذه الامثلة من الصديق العلمى والصديق المجازى والصديق
الحرفى هو ما اشار اليه الله سبحانه واصفا القرآن بأنه :
(لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ٤٢ - فصلت
وبانه :

(لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

٨٢ - النساء

اختلافا بين الآيات وبين بعضها بمعنى تناقضها . . واختلافا
عن الحقائق الثابتة التى سوف تكشفها العلوم . . وكلا
الاختلافين نجده دائما فى الكتب المؤلفة . . ولهذا يحرص
المؤلف على ان يضيف أو يحذف أو يعدل كلما أصدر طبعة
جديدة من كتبه . . ونرى النظريات تتلو بعضها البعض مكذبة
بعضها البعض . . ونرى المؤلف مهما راعى الدقة يقع فى
التناقض . . وهى عيوب لانجدها فى القرآن .
وهو بعد ذلك معجزة لانه يخبرك عن ماض لم يؤرخ ويتنبأ
بمستقبل لم يأت .

وقد صدقت نبوءات القرآن المتعددة .

عن انتصار الروم بعد هزيمتهم .

(غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون
فى بضع سنين) ٢ - ٣ - ٤ - الروم

و « بضع » فى اللغة هى مابين ثلاث وتسع . . وقد جاء
انتصار الروم بعد سبع سنين .
وعن انتصار بدر :

(سيهزم الجمع ويولون الدبر) ٤٥ - القمر
وعن رؤيا دخول مكة :

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين)
٢٧ - الفتح

وقد كان .

وما زالت فى القرآن نبوءات نراها تتحقق امام اعيننا . .
فهذا ابراهيم يدعو ربه :

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم . . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا) ٣٧ - ابراهيم
لقد دعا بالرزق لهذا الوادى الجديد .

ثم جاء وعد الله لاهل مكة بالرخاء والغنى حينما امرهم بمنع
المشركين من زيارة البيت فخافوا البوار الاقتصادى والكساد ،
« وكان اهل مكة يعتمدون فى رواجهم على حج البيت » . . فقال
ليطمئنهم :

(وان خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)

٢٨ - التوبة

وهو وعد نراه الآن يتحقق امامنا فى البترول الذى يتدفق
من الصحراء بلا حساب وترتفع اسعاره فى جنون يوما بعد
يوم . . ثم فى كنوز اليورانيوم التى تخفيها تلك الصحارى
بما يضمن لها الرخاء الى نهاية الزمان .

ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من اسرار الجن
والملائكة مما لم يكشف الا لقلة من المخصوصين من اهل
التصوف . . فاذا رأى هؤلاء فهم لا يرون الا ما يوافق كلمة
القرآن واذا طالعوا لا يطالعون الا ما يطابق أسراره .

ثم هو يقدم لنا الكلمة الأخيرة في السياسة والأخلاق ونظم الحكم والحرب والسلام والاقتصاد والمجتمع والزواج والمعاشرة ، ويشرع لنا من محكم الشرائع ما يسبق به ميثاق حقوق الإنسان كل ذلك في أسلوب منفرد وعبارة شامخة وبتيان جمالي وبلاغى هو نسيج وحده في تاريخ اللغة .

سألوا ابن عربي عن سر اعجاز القرآن فأجاب بكلمة واحدة هي : « الصديق المطلق » فكلمات القرآن صادقة صدقا مطلقا ، بينما اقضي ما يستطيعه مؤلف هو ان يصل الى صديق نسبي وأقصى ما يطمح فيه كاتب هو ان يكون صادقا حسب رؤيته . . . ومساحة الرؤية دائما محدودة ومتغيرة من عصر الى عصر . . . كل واحد منا يحيط بجانب من الحقيقة وتفوقه جوانب ، ينظر من زاوية وتفوقه زوايا . . . وما يصل اليه من صديق دائما صديق نسبي . . . أما صاحب العلم المحيط والبصر الشامل فهو الله وحده . . . وهو وحده القادر على الصديق المطلق . . . ولهذا نقول على القرآن أنه من عند الله لأنه اصاب الصديق المطلق في كل شيء . . .

سألوا محمدا عليه الصلاة والسلام عن القرآن فقال :
« فيه نبياً ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذكر الحكيم وهو جبل الله المتين .
وهو الصراط المستقيم . من تركه من جبار قضمه الله .
ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو الذي لا تلتبس به الالسن . ولا تزيع به العقول . ولا يخلق على كثرة الرد .
ولا يشبع منه العلماء . ولا تنقضى عجائبه » .
وهذا هو كتابنا يا صديقي .
ولهذه الصفات مجتمعة لا يمكن ان يكون مؤلفا .

● شكوك

قال صاحبي :

- تقول ان القرآن لا يتناقض مع نفسه فما بالك بهذه الآية (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ٢٩ - الكهف والآية الأخرى التي تنقضها :
- (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) ٣٠ - الانسان
- ثم نجد القرآن يقول عن حساب المذنبين انهم سوف يسألون :
- (ستكتب شهادتهم ويسألون) ١٩ - الزخرف
- (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) ٤٤ - الزخرف
- ومرة أخرى يقول :
- (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ٧٨ - القصص
- وانهم سوف يعرفون بسيماهم .
- (فيؤخذ بالنواصي والاقلام) ٤١ - الرحمن
- ومرة يقول انه لا أحد سوف يشهد وثاق المجرم
- (ولا يوثق وثاقه أحد) ٢٦ - الفجر
- بمعنى أن كل واحد سوف يتكفل بتعذيب نفسه .

(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ١٤ - الاسراء

ومرة يقول :

(ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ٣٢ -
الحاقة

قلت له :

- هذه ليست تناقضات .. ولنفكر فيها معا ، فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر .. آية صريحة تشير الى حرية العبد
واختياره .. ولكن هذه الحرية لم تأخذها من الله غصبا
وغلابا .. وانما أعطاها لنا الله بمشيئته . فتأتى الآية الثانية
لتشرح ذلك فتقول :

(وما تشاؤون الا ان يشاء الله)

أى ان حرية العبد ضمن مشيئة الرب وليست ضدها ..
أى ان حرية العبد يمكن ان تناقض الرضا الالهى فتختار المعصية
ولكنها لا يمكن ان تناقض المشيئة .. فهى تظل دائما ضمن
المشيئة ولو خالفت الرضا .. وهى نقطة دقيقة شرحناها فى
موضوع المخير والمسير .. وقلنا ان التسيير الالهى هو عين
التخير لان الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه ، ومعنى ذلك
انه يريد للعبد نفس ما اراد العبد لنفسه بنيته واختيار
قلبه .. أى ان العبد مبسّر الى ما اختار .. ومعنى ذلك انه
لا اكراه وأنه لاثنائية ولا تناقض .. وان التسيير هو عين
التخير .. وهى مسألة من أدق المسائل فى فهم لغز المخير
والمسير .. وما تسميه انت تناقضا هو فى الحقيقة جلاء ذلك
السر .

أما الآيات الواردة عن الحساب فان كل آية تعنى طائفة
مختلفة فهناك من سوف يسأل وتطلب شهادته وهناك من
ستكون ذنوبه من الكثرة بحيث تطفح على وجهه وهؤلاء هم
الذين سوف يعرفون بسيماهم فيؤخذوا بالنواصي والاقدام ،
وهناك المعاند المنكر الذى سوف تشهد عليه يدها ورجلاه .

(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون) ٦٥ - يس

وهناك من سيكون حسيبا على نفسه يعذبها بالندم ويشهد وثاقها بالحسرة .. وهو الذى لا يوثق وثاقه أحد .
وهناك اكابر المجرمين الجبارين الذين سوف يكذبون على الله وهم يواجهونه ويحلفون الكذب وهم فى الموقف العظيم .

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون) ١٨ - المجادلة
وهؤلاء هم الذين سوف يسحبون على وجوههم ويوثقون فى السلاسل .
وأبو حامد الغزالي يفسر هذه السلاسل بانها سلاسل الاسباب .

- وما رأيك فى كلام القرآن عن العلم الالهى .
(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى ارض تموت) ٣٤ - لقمان

يقول القرآن أن الله اختص نفسه بهذا العلم لا يعلمه غيره .

(فعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) ٥٩ - الانعام

فما بالك الآن بالطبيب الذى يستطيع ان يعلم ما بالارحام ويستطيع ان يتنبأ أن كان ذكر أم أنثى .. وما بالك بالعلماء الذين انزلوا المطر الصناعى بالاساليب الكيماوية .

- لم يتكلم القرآن عن انزال المطر وانما عن انزال الغيث وهو المطر الغزير الكثيف الذى ينزل بكميات تكفى لتغيير مصير أمة واغاثتها ونقلها من حال الجذب الى حال الخصب والرخاء .. والمطر بهذه الكميات لا يمكن انزاله بتجربة .

أما علم الله لما فى الارحام فهو علم كلى محيط وليس فقط علما بجنس المولود هل هو ذكر أم أنثى وانما علم بمن يكون ذلك المولود وما شأنه وماذا سيفعل فى الدنيا وما تاريخه من يوم يولد الى يوم يموت .. وهو أمر لا يستطيع أن يعلمه طبيب .

— وما حكاية كرسى الله الذى تقولون انه وسع السماوات والارض .. وعرش الله الذى يحمله ثمانية .
— ان عقلك يسع السماوات والارض وانت البشر الذى لاتذكر .. فكيف لايسعها كرسى الله .. والارض والشمس والكواكب والنجوم والمجرات محمولة بقوة الله فى الفضاء .. فكيف تعجب لحمل عرش .

— وما هو الكرسى وما العرش .
— قل لى ما الالكثرون أقل لك ما الكرسى .. قل لى ما الكهرباء .. قل لى ما الجاذبية .. قل لى ما الزمان .. انك لاتعرف ماهية أى شىء لتسألنى ما الكرسى وما العرش .. ان العالم ملىء بالاسرار وهذه بعض أسزاره .
— والنملة التى تكلمت فى القرآن وحذرت بقية النمل من قدوم سليمان وجيشه .

(قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده) ١٨ — النمل

— لو قرأت القليل عى علم الحشرات الآن لما سألت هذا السؤال .. ان علم الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن لغة النمل ولغة النحل .

ولغة النمل الآن حقيقة مؤكدة .. فما كان من الممكن ان تتوزع الوظائف فى خلية من مئات الالوف ويتم التنظيم وتنقل الاوامر والتعليمات بين هذا الجشد الحاشد لولا أن هناك لغة للتفاهم ولا محل للعجب فى أن نملة عرفت سليمان .. ألم يعرف الانسان الله .

— وكيف يمحو الله ما يكتب فى لوح قضائه .
(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
أيخطئ ربكم كما نخطئ فى الحساب فنمحو ونثبت .. أم يراجع نفسه كما نراجع أنفسنا .
— الله يمحو السيئة بأن يلهمك بالحسنة ويقول فى كتابه :
(ان الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤ — هود
ويقول عن عباده الصالحين :

وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكاة)

٧٣ - الانبياء

وبذلك يدعو الله دون ان يسحر وهذا سر الآية ٣٩ سورة
الرعد التي ذكرتها

- وما رأيك في الآية ؟

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ - الذاريات

هل كان الله في حاجة لعبادتنا ؟

- بل نحن المحتاجون لعبادته .

هل تعبد المرأة الجميلة خبا بامر تكليف . . ام انك تلتذ
بهذا الحب وتنتشئ وتسعد لتذوقك لجمالها . . كذلك الله وهو
الاجمل من كل جميل اذا عرفت جلاله وجماله وقدره عبده
ووجدت في عبادتك له غاية السعادة والنشوة .

ان العبادة عندنا لا تكون الا عن معرفة . . والله لا يعبد
الا بالعلم . . ومعرفة الله هي ذروة المعارف كلها ونهاية رحلة
طويلة من المعارف تبدأ منذ الميلاد واول ما يعرف الطفل عند
ميلاده هو ثدي أمه وتلك اول لذة ثم يتعرف على أمه وأبيه
وعائلته ومجتمعه وبيئته ثم يبدأ في استغلال هذه البيئة
لمنفهته فاذا هي ثدي آخر كبير يدور عليه الثراء والمغانم والمملكات
فهو يخرج من الارض الذهب والماس ومن البحر اللآلئ ومن
الزرع الفواكه والثمار وتلك هي اللذة الثانية في رحلة المعرفة
ثم ينتقل من معرفته لبيئته الارضية ليخرج الى السماوات
ويضع رجله على القمر ويطلق سفائنه الى المريخ في ملاحة نحو
المجهول ليستمتع بلذة أخرى أكبر هي لذة استطلاع الكون ثم
يرجع ذلك الملاح ليسأل نفسه . . ومن أنا الذي عرفت هذا
كله . . لبدأ رحلة معرفة جديدة الى نفسه بهدف معرفة نفسه
والتحكم في طاقاتها وادارتها لصالحه وصالح الآخرين وتلك لذة
أخرى . ثم تكون ذروة المعارف بعد معرفة النفس هي معرفة
الرب الذي خلق تلك النفس . وبهذه المعرفة الاخيرة يبلغ
الإنسان ذروة السعادات لانه يلتقى بالكامل المتعال الاجمل من
كل جميل . . تلك هي رحلة العابد على طريق العبادة . . وكلها

ورود ومسرات • وإذا كانت في الحياة مشقة •• فلأن قاطف
الورود لابد أن تدمى يديه الاشـشـواك •• والطامع في ذرى
اللانهاية لابد أن يكـدخ اليها •• ولكن وصول العابد الى معرفة
ربه وانكشاف الغطاء عن عينيه •• ما أروع •• يقول الصوفي
لايس الحرقه •• « نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها
بالسيوف » تلك هي لذة العبادة الحقة •• وهي من نصيب
العابد •• ولكن الله في غنى عنها وعن العالمين •• ونحن
لا نعبد به بأمر تكليف ولكننا نعبد لاننا عرفنا جماله وجلاله ••
ونحن لانجد في عبادته ذلا بل تحررا وكرامة •• تحررا من كل
عبوديات الدنيا •• تحررا من الشهوات والغرائز والاطماع
والمال •• ونحن نخاف الله فلا نعود نخاف أحدا بعده ولا نعود
نعيا بأحد •• خوف الله شجاعة •• وعبادته حرية •• والذل
له كرامة •• ومعرفته يقين وتلك هي العبادة •• نحن الذين
نجنى أرباحها ومسراتها •• أما الله فهو الغنى عن كل شيء ••
انما خلفنا الله ليعطينا لياخذ منا •• خلقنا ليخلع علينا
من كمالاته فهو السميع البصير وقد أعطانا سمعا وبصرا وهو
العليم الخبير وقد أعطانا العقل لنتزود من علمه والحواس لنتزود
من خبرته وهو يقول لعبد المـقرب في الحديث القدسي :
(عيسى أظنى أجعلك ربانيا تقل للشئ كن فيكون)

ألم يفعل هذا لعيسى عليه السلام •• فكان عيسى يحيى
الموتى بأذنه ويخلق من الطين طيرا بأذنه ويشفي الأعمى
والأبرص بأذنه •

العبودية لله اذن هي عكس العبودية في مفهومنا ••
فالعبودية في مفهومنا هي ان يأخذ السيد خير العبد
أما العبودية لله فهي على العكس ان يعطي السيد لعبده مالا
حدود له من النعم ويخلق عليه مالا نهاية من الكمالات ••
فحينما يقول الله :

(ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ - الذاريات
فمعناها الباطن ما خلقت الجن والانس الا لاعطيهم وامنحهم
حبا وخيرا وكرامة وعزة وأخلع عليهم ثوب التشريف
والخلافة •

فالسيد الرب غنى مستغن عن عبادتنا .. ونحن المحتاجون
الى هذه العبادة والشرف والمواهب والخيرات التى لا حد لها .

قالله الكريم سمح لنا ان ندخل عليه فى أى وقت بلا ميعاد
ونبقى فى حضرته ماشتنا وندعوه ماوسسنا .. بمجرد ان
نيسط سجادة الصلاة ونقول « الله أكبر » نصبح فى حضرته
نطلب منه ما نشاء .

أين هو الملك الذى نستطيع ان ندخل عليه بلا ميعاد ونلبث
فى حضرته ما نشاء !؟

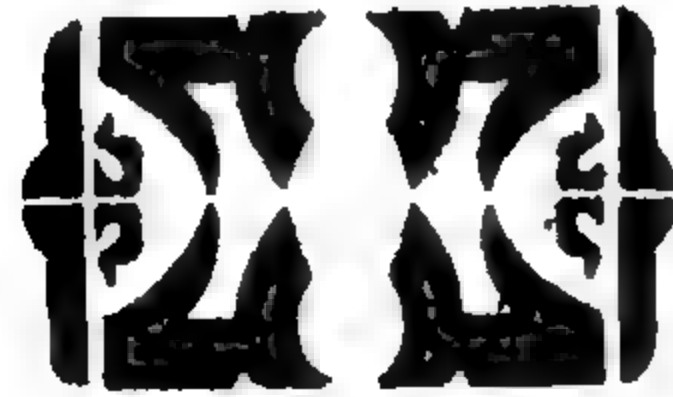
وفى ذلك يقول مولانا العبد الصالح الشيخ محمد متولى
الشعراوى قى شعر جميل :

حسب نفسى عزا اننى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الاعز ولكن
أنا ألقى متى وحسب أحب

ويقول : أرونى صنعة تعرض على صانعها خمس مرات فى
اليوم « يقصد الصلوات الخمس » وتعرض للتلف !
وهذه بعض المعانى الباطنة فى الآية التى اثار شكوكك :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

ولو تأملتها لما اثار فىك الا الدهول والاعجاب .



● موقف الدين من التطور

قال صاحبي :

— موقفك اليوم سيكون صعبا فعليك ان تثبت ان خلق الانسان جاء على طريقة جلا جلا .. أمسك الخالق قطعة طين ثم عجنها في يده ونفخ فيها فاذا بها آدم .. وهو كلام تخالفك فيه بشدة علوم التطور التي تقول ان صاحبك آدم جاء نتيجة سلسلة من الاطوار الحيوانية السابقة وأنه ليس مقطوع الصلة بأفراد عائلته من الحيوانات وأنه والقروذ أولاد عمومة يلتقون معا في سابع جد .. وان التشابه الاكيد في تفاصيل البنية التشريحية للجميع يدل على أنهم جميعا أفراد أسرة واحدة .

قلت وأنا أستعد لمعركة علمية ذسمة :

— دعني أصحح معلوماتك أولا فأقول لك ان الله لم يخلق آدم على طريقة جلا جلا .. ها هنا قطعة طين نفخ فيها فتكون آدم .. فالقرآن يروي قصة مختلفة تماما عن خلق آدم قصة يتم فيها الخلق على مراحل وأطوار وزمن الهى مديد والقرآن يقول ان الانسان لم يخرج من الطين مباشرة وانما خرج من سلالة جاءت من الطين .

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) ١٢ - المؤمنون
وان الانسان في البدء لم يكن شيئا يذكر :
(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ - الانسان

وان خلقه جاء على اطوار :
(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا)
(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس) ١١ - الاعراف
(واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)
٧١ - ٧٢ - ص

معنى ذلك أن هناك مراحل بدأت بالخلق ثم التصوير .. ثم
التسوية ثم النفخ .. « و ثم » بالزمن الالهي معناها ملايين
السنين .

(ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) ٤٧ - الحج
انظر الى هذه المراحل الزمنية للخلق في سورة السجدة ..
يقول الله سبحانه انه :

(بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من
ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة) ٧ - ٨ - ٩ - السجدة
في البدء كان الطين ثم جاءت سلاله من ماء مهين هي البدايات
الاولى للانسان التي لم تكن شيئا مذكورا ثم التسوية والتصوير
ثم نفخ الروح التي بها أصبح للانسان سمع وبصر وفؤاد ..
وأصبح آدم .. فأدم اذن نهاية سلسلة من الاطوار وليس
بدءا مطلقا على طريقة جلا جلا .

(والله انبتكم من الارض نباتا) ١٧ - نوح
هنا عملية انبات بكل ما في الانبات من اطوار ومراحل
وزمن .

ولكن اللفز الحقيقي هو .. ماذا كانت تلك المراحل بالضبط
وماذا كانت تلك الاطوار .

هل كل شجرة الحياة من أب واحد .
هى كلها من الطين بحسب التركيب الكيميائى . . وكلها
تنتهى بالموت الى اصلها الترابى . . هذه حقيقة .
ولكننا نقصد من كلمة أب شيئاً أكثر من الاصل الطينى .
السؤال هو هل تولدت من الطين خلية أولى تعددت وأنجبت
كل تلك الانواع والفصائل النباتية والحيوانية بما فى ذلك
الانسان .

أم أنه كانت هناك بدايات متعددة . . بداية تطورت الى
نباتات وبداية تطورت الى فرع من فروع الحيوان كالاسفنج
مثلا وبداية أخرى خرج منها فرع آخر كالاسماك وبداية خرجت
منها الزواحف وبداية خرجت منها الطيور وبداية خرجت منها
الثدييات وبداية خرج منها الانسان وبذلك يكون للانسان جد
منفصل ويكون لكل نوع جد خاص به .

ان التشابه التشريحي للفروع والانواع والفصائل لا ينفى
خروج كل نوع من بداية خاصة وانما يدل هذا التشابه
التشريحي فى الجميع على وحدة الخالق وأن صانعها جميعا واحد
لانه خلقها جميعا من خامه واحدة وبأسلوب واحد وبخطة واحدة
هذه هى النتيجة الحتمية . . ولكن خروجها كلها من أب واحد
ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحي . . فوسائل المواصلات
تشابه فيما بينها العربى والقطار والترام والديزل كلها تقوم
على أسس هندسية وتركيبية متشابهة دالة بذلك على أنها
جميعا من اختراع العقل البشرى . . ولكن هذا لا يمنع أن كل
صنف منها جاء من أب مستقل ومن فكرة هندسية مستقلة .
كما اننا لا يصح أن نقول ان عربى اليد تطورت تلقائيا
بحكم القوانين الباطنة فيها الى عربى حنطور ثم الى عربى فورد
ثم الى قطار ثم الى ديزل . . فالواقع غير ذلك . . وهو أن كل
طور من هذه الاطوار جاء بطفرة ذهنية فى عقل المخترع وقفزة
ابداع فى عقل المهندس . . لم يخرج نوع من آخر مع أن
الترتيب الزمنى قد يؤيد فكرة خروج نوع من نوع . . ولكن
ما حدث كان غير ذلك فكل نوع جاء بطفرة ابداعية من العقل
المخترع وبدأ مستقلا .

وهذه هي أخطاء داروين والمطبات والثغرات التي وقع فيها حينما ضاغ نظريته .

ودعنا نتذكر معا ما قال داروين في كتابه «أصل الانواع» :
كان أول ما اكتشفه داروين أثناء رحلته بالسفينة بيجل هي
الخطة التشريحية الواحدة التي بنيت عليها كل الفصائل
الحيوانية . . قالهيكل العظمى واحد في أغلب الحيوانات الفقرية
الذراع في القرد هو نفس الجناح في الطائر هو نفس الجناح
في الخفاش كل عظمة هنا تقابلها عظمة تناظرها هناك مع
تحويلات طفيفة لتلائم الوظيفة فالعظام في الطيور رقيقة وخفيفة
ومجوّفة وهي مغطاة بالريش . . ثم نجد رقبة الزرافة الطويلة
بها سبع فقرات ورقبة الانسان سبع فقرات ورقبة القنفذ التي
لا تذكر من فرط قصرها هي الاخرى سبع فقرات وهناك
خمس أصابع في يد الانسان ونجد نفس التخميس في أصابع
القرد والارنب والضفدعة والسحلية . . وفترة الحمل في الجوت
والقرد والانسان تسعة أشهر وفترة الارضاع في الجميع سنتان
وفقرات الذيل في القرد نجدها في الانسان متداخلة ملتصقة
فيما يسمى بالعصص ونجد عضلات الذيل قد تحولت في
الانسان الى قاع متين للحوض . . ثم نجد القلب بغرفة الاربع
في الحصان والحمار والارنب والحمامة والانسان ونفس الخطّة
في تفرع الشرايين والاوردة . . ثم نجد نفس الخطّة في
الجهاز الهضمي ، البلعوم ثم المعدة ثم الاثنا عشر ثم الامعاء
الدقيقة ثم الامعاء الغليظة ثم الشرج والجهاز التناسلي نفس
الحصية والمبيض وقنوات الحصى وقنوات المبيض وكذلك
الجهاز البولي نفس الكلية والحالب وحويصلة البول . . والجهاز
التنفسى . . القصبة الهوائية والرئتين . . ونجد أن الرئة في
البرمائيات هي نفس كيس العوم في السمكة .
كان طبيعيا بعد هذا أن يتصور داروين أن الحيوانات كلها
أفراد أسرة واحدة تفرقت بهم البيئات فتكيفت كل فصيلة مع
بيئتها . . الحوت في المنطقة الجليدية لبس معطفا من الشحم . .
والدببة لبست الفراء وانسان الغابة في الشمس الاستوائية

اسود جلده فأصبح كالمظلة الواقية ليقية الشمس . وسحالى الكهوف ضمرت عيونها لأنها لا تجد لها فائدة فى الظلام فأصبحت عمياء بينما سحالى البرارى نراها مبصرة . والحيوانات التى نزلت الماء طورت أطرافها الى زعانف والتى غزت الجو طورت أطرافها الى أجنحة وزواحف الأرض طورت أطرافها الى أرجل .

ثم ألا يحكى الجنين القصة فى مرحلة من مراحل نموه نراه يتنفس بالحياشيم ثم تضمر الحياشيم وتظهر فيه الرئتان وفى مرحلة نجد له ذيلا ثم يضم الذيل ويختفى وفى مرحلة نراه يكتسى بالشعر ثم يتحسر بعد ذلك الشعر عن جسمه .

ثم ألا تحكى لنا طبقات الصخور بما حفظت لنا من حفريات قصة متسلسلة الحلقات عن ظهور واختفاء هذه الأنواع الواحد بعد الآخر من الحيوانات البسيطة وحيدة الخلية الى عديدة الخلايا الى الرخويات الى القشريات الى الأسماك الى البرمائيات الى الزاحفات الى الطيور الى الثدييات . . . وأخيرا الى الإنسان . ولقد أصاب داروين وأبدع حينما وضع هذه المقدمة القيمة فى التشابه التشريحي بين الحيوانات وأصاب حينما قال بالتطور .

ولكنه أخطأ حينما حاول أن يفسر عملية الارتقاء وأخطأ حينما حاول أن يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفصيله . كان تفسير داروين لعملية الارتقاء أنه يتم بالعوامل المادية التلقائية وحدها . . . حيث تتقاتل الحيوانات بالناب والمخلب فى صراع الحياة الدموى الرهيب فيموت الضعيف ويكون البقاء دائما للأصلح . . . تلك الحرب الناشئة فى الطبيعة هى التى تفرز الصالح والقوى وتشجعه وتبقى على نسله وتفسح أمامه سبيل الحياة .

وإذا كانت هذه النظرية تفسر لنا بقاء الأقوى فانها لا تفسر لنا بقاء الأجمل . . . فإن الجناح المنقوش لا يمتاز بأى صلاحيات مادية أو معاشية عن الجناح الأبيض . وليس أكفا منه فى الطيران .

وإذا قلنا ان الذكر يفضل الجناح المنقوش . . . فى التزاوج

فسوف نسال ولماذا . . ما دام هذا النقش لا يمثل أى مزيد من الكفاءة .

وإذا دخل تفضيل الاجمل فى الحساب فان النظرية المادية تنهار من أساسها .

وتبقى النظرية بعد ذلك عاجزة عن تفسير لماذا خرج من عائلة الحمار شيء كالحصان ولماذا خرج من عائلة الوعل شيء رقيق مرهف وجميل كالغزال . . مع أنه أقل قوة وأقل احتمالا كيف نفسر جناح الهدهد وريشة الطاووس وموديلات الفراش بألوانها البديعة ونقوشها المذهلة . . نحن هنا أمام يد مصور فنان ماهر يتفنن ويبدع . . ولسنا أمام عملية غليظة كصراع البقاء وحرب المخلب والناب .

والخطأ الثانى فى نظرية التطور جاء بعد ذلك من أصحاب نظرية الطفرة .

والطفرات هى الصفات الجديدة المفاجئة التى تظهر فى النسل نتيجة تغيرات غير محسوبة فى عملية تزاوج الخلية الانثوية والخلية الذكرية ولقاء الكروموسومات لتحديد الصفات الوراثية .

وأحيانا تكون هذه الصفات الجديدة صفات ضارة كالمسوخ والتشوهات وأحيانا تكون طفرات مفيدة للبيئة الجديدة للحيوان كأن تظهر للحيوان الذى ينزل الماء أرجل مبططة . . فتكون صفة جديدة مفيدة لان الارجل المبططة أنسب للسباحة فتشجع الطبيعة هذه الصفة وتنقلها الى الاجيال الجديدة وتقضى على الصفة القديمة لعدم صلاحيتها وبذلك يحدث الارتقاء وتتطور الارجل العادية الى أرجل غشائية .

وخطأ هذه النظرية أنها أقامت التطور على أساس الطفرات والاختلاف العشوائية . . وأسقطت عملية التدبير والابداع تماما . ولا يمكن أن تصلح هذه الطفرات العشوائية أساسا لما نرى حولنا من دقة وابداع واحكام فى كل شيء .

ان البعوضة تضع بيضها فى المستنقع . . وكل بيضة تاتى الى الوجود مزودة بكيسين للطفو .

من أين تعلمت البعوضة قوانین أرشمیدس لتزود بيضها
 بهذه الأكياس الطافية •
 وأشجار الصحارى تنتج بذورا مجنحة تطير مع الرياح
 أميالا وتنتشر فى مساحات واسعة بلا حدود •
 من أين تعلمت أشجار الصحارى قوانین الحمل الهوائى
 لتصنع لنفسها هذه البذور المجنحة التى تطير مئات الأميال
 بحثا عن أراض ملائمة للنبات •
 وهذه النباتات المفترسة التى تصطنع لنفسها الفخاخ
 والشراك الخداعية العجيبة. لتتصيد الحشرات وتهضمها وتاكلها •
 بأى عقل استطاعت أن تصطنع تلك الحيل •
 نحن هنا أمام عقل كلى يفكر ويبتكر لمخلوقاته ويبدع لها
 أسباب الحيل •
 لا يمكن تصور حدوث الارتقاء بدون هذا العقل المبدع •

(الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى) ٥٠ - طه

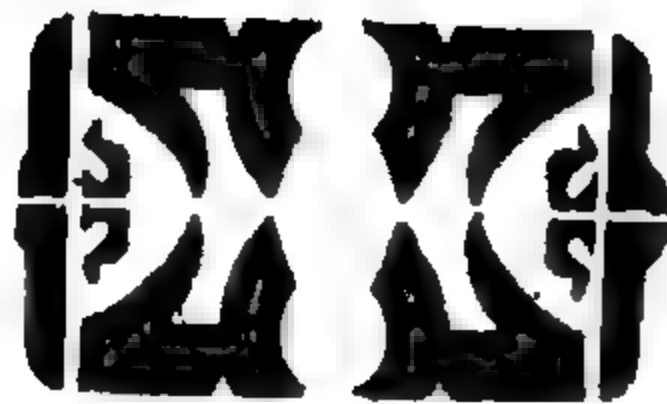
والعقبة الثالثة أمام نظرية داروين •• هى ما اكتشفناه الآن
 باسم الخريطة الكروموسومية • أو خريطة الجينات •• ونحن
 نعلم الآن أن لكل نوع حيوانى خريطة كروموسومية خاصة به
 ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة
 الكروموسومية •
 نخلص من هذا الى أن نظرية داروين تعثرت واذا كان
 التشابه التشريحي بين الحيوانات حقيقة متفقا عليها •
 واذا كان التطور أيضا حقيقة •• الا أن مراحل هذا التطور
 وكيفياته ما زالت لغزا •
 هل كانت هناك بدايات مستقلة أم أن بعض الفروع تلتقى
 عند أصول واحدة •
 والتطور وارد باللفظ الصريح فى القرآن •• كما أن مراحل
 الخلق والتصوير والتسوية ونفخ الروح واردة •
 ولكن لم يستقر العلم على نظرية ثابتة لتلك المراحل بعد ••
 واذا عدنا لسورة السجدة التى تحكى عن الله أنه :

(بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء
مهيّن ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة) ٧ - ٨ - ٩ - السجدة

فان معنى الآية صريح في ان البدايات الاولى للانسان التي
جاء منها آدم فيما بعد وهي تلك التي جاء نسلها من ماء مهيّن ..
لم يكن لها سمع ولا ابصار ولا افئدة .
وانما جاءت هذه الابصار والاسماع والافئدة بعد نفخ الروح
وهي آخر مراحل خلق آدم .
هي اذن بدايات اشبه بالحياة الحيوانية المتخلقة .

(هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ - الانسان

ولا اظن ان هذا يختلف عن العلوم التي تتحدث عنها .
والحقيقة بعد هذا ما زالت لقرا .. ولا يستطيع احد ان
يدعي انه كشف الحقيقة .. وقد يكون ما حدث شيئا غير كل
ما قلنا وغير كل ما تصور العلماء والسؤال مازال مفتوحا للبحث
وكل ما جاء به العلم فروض .



● كلمة

لا إله إلا الله

قال صاحبى :

— ألسنت معى فى أنكم تبالغون كثيرا فى استخدام كلمة لا إله إلا الله وكأنها مفتاح لكل باب .. تشيعون بها الميت وتستقبلون الوليد وتطبعونها على الاختام وتنقشونها على القلائد وتصكون بها العملات وتعلقونها على الجدران .. من ينطق بها منكم تقولون ان جسمه اعتق من النار .. فاذا نطق بها مائة ألف مرة دخل الجنة وكأنها طلسم سحرى أو تعويذة لطرد الجن أو قمقم لحبس المردة .. ثم هذه الحروف التى لا تعرفون لها معنى .. أ . ل . م . كهيعض .. طسم .. حم .. الر .. هل أنجوا من العذاب اذا قلت لا إله إلا الله .. اذن فانى أقولها وأشهدك وأشهد الحضور على ذلك .. لا إله إلا الله .. هل انتهى الامر ..

— بل لم تقل شيئا ..

ان لا إله إلا الله لمن يعمل بها وليست لمن يشقشق بها لسانه لا إله إلا الله منهج عمل وخطة حياة وليست مجرد حروف .. ودعنا نفكر قليلا فى معناها .. اننا حينما نقول لا إله إلا الله نعنى

انه لا معبود الا الله وبين لا والا بين النفي والاثبات فى العبارة
بين هاتين الدفتين تقع العقيدة كلها لا النافية تنفى الالوهية
عن كل شيء .. عن كل ما نعبد من مشتهيات فى الدنيا ..
عن المال والجاه والسلطان واللذات وتترف العيش والنساء
الباهرات والعز الفاره .. لكل هذا نقول لا .. لا نعبدك ..
لست الها .. ثم نقول لا لنفوسنا التى تشتهى تلك الاشياء
لان الانسان يعبد نفسه فى العادة ويعبد رايه ويعبد هواه
واختياره ومزاجه ويعبد ذكاءه ومواهبه وشهرته ويتصور أن
بيده مقاليد الامور وأقدار الناس والمجتمع .. ويجعل من
نفسه الها دون أن يدري .. لهذه النفس نحن نقول لا ..
لا نعبدك .. لست الها .

نقول « لا » - للمدير والرئيس والحاكم .. لا لست الها .
ومعنى كلمة « اله » أى « فاعل » .. والفاعل بحق عندنا
هو الله ، أما كل هذه الاشياء فوسائط وأسباب . المدير والوزير
والرئيس والمال والجاه والسلطان والنفس بذكائها ومواهبها ..
لكل هذا نقول لا .. لست الها .

« الا » - واحد نستثنيه ونثبت له تلك الفاعلية والقدرة
هو الله .

وبين لا والا بين هذا النفي وهذا الاثبات تقع العقيدة كلها
فمن كان مشغولا بجمع المال وتكديس الثروات وتخلق السلطان
والتزلف للرؤساء وتحزى اللذات واتباع هواى نفسه وتعشق
رايه والتعصب لوجهة نظره .. فهو لم يقل لا لكل هذه
المعبودات وهو ساجد فى محرابها دون أن يدري وحينما يقول
لا اله الا الله فهو يقولها كاذبا .. يقول بلسانه غالا يفعل
بيديه ورجليه .

ومعنى « لا اله الا الله » انه لا حسيب ولا رقيب الا الله ..
هو وحده المدير بالحشية والخوف والمراقبة .. فمن كان يخاف
المرض ومن كان يخاف الميكروب ومن كان يخاف عصا الشرطى
وجند الحاكم فانه لم يقل « لا » .. لكل تلك الآلهة الوهمية ..
والما هو ما زال ساجدا لها وقد اشرك مع خالقه كل تلك الالهة

المزيفة .. فهو كاذب في كلمة « لا اله الا الله »
ومعنى ذلك أن « لا اله الا الله » عهد ودستور ومنهج حياة
والمقصود بها .. العمل بها .
فمن عمل بها كانت له طلسم بالفعل يفتح له كل الابواب
العصية .. وكانت نجاته في الدنيا والآخرة ومدخلا الى الجنة .
اما نطق اللسان بدون تصديق القلب وعمل الجوارح ..
فانه لا يغنى .

و « لا اله الا الله » تعنى أكثر من هذا موقفا فلسفيا .
يقول الدكتور زكي نجيب محمود ان « شهادة لا اله الا الله »
تتضمن الاقرار بثلاث حقائق .. أن الشاهد موجود والمشهود
موجود . والحضور الذين تلقى امامهم الشهادة موجودون أيضا
أى أنها اقرار صريح بأن الذات والله والآخرين لهم جميعا وجود
حقيقى .

وبهذا يرفض الاسلام الفلسفة المثالية كما يرفض الفلسفة
المادية فى ذات الوقت .. يرفض اليمين واليسار معا ويختار
موقفا وسطا .

يرفض المثالية الفلسفية .. لان المثالية الفلسفية لا تعترف
بوجود الآخرين ولا بوجود العالم الموضوعى كحقيقة خارجية
مستقلة عن العقل .. وانما كل شئ فى نظر الفلسفة المثالية
يجرى كأنه حلم فى دماغ .. أو افكار فى عقل .. أنت
والراديو والشارع والمجتمع والمصحف والحرب كلها حوادث
ومراتب وأحلام تجزى فى عقلى .. لا وجود حقيقى للعالم
الخارجى .

وهذا الموقف المثالى المتطرف يرفضه الاسلام وترفضه
الشهادة لأنها كما قلنا اقرار صريح بأن الشاهد والمشهود
والحضور الذين تلقى امامهم الشهادة أى الذات والله والآخرين
حقائق مقررّة .

كما يرفض الاسلام أيضا الفلسفة المادية لان الفلسفة المادية
تعترف بالعالم الموضوعى ولكنها تنكر ما وراءه .. تنكر
الغيب والله .

والاسلام بهذا يقدم فلسفة واقعية وفكرا واقعيا فيعترف
بالعالم الموضوعي ثم يضيف الى هذا العالم كل الثراء الذي
يتضمنه الوجود الالهي الغيبي. ويقدم تركيبا جدليا جامعا
بين فكر اليمين وفكر اليسار في فلسفة جامعة ما زالت تتحدى
كل اجتهاد المفكرين فتسبق ما سيطروا من نظريات ظنية
لا تقوم على يقين .

شهادة « لا اله الا الله » تعنى اذن منهج حياة وموقفا
فلسفيا .

ولهذا قانت تكذب وانت الرجل المادي الذي اخترت موقفا
فلسفيا ماديا وانت تنطق بالشهادة كذبتين :

الكذبة الاولى - أنك تشهد بما ينافي بفلسفتك .

والكذبة الثانية - أنك لا تعمل بهذه الشهادة في حياتك
قدر خردلة . .

اما حكاية ا . ل . م . وكهيمص . حم . الر . . فدعني
اسألك . . وما حكاية س ص ولوغاريتم ومعادلة الطاقة
ط = ك x س² وهي الغاز وطلاسم بالنسبة لمن لا يعرف
شيئا في الحساب والجبر والرياضيات . . وعند العالمين لها
معاني خطيرة .

كذلك هذه الحروف حينما يكشف لنا عن معناها .

قال صاحبي في سخرية :

- وهل كشف لك عن معناها ؟

قلت وأنا ألقى بالقنبلة :

- هذا موضوع مثير. يحتاج الى كلام آخر طويل وسوف

يدهشك .

● كهيص

قلت لصديقي الملحد :

— لا شك أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور قد صدمتك حينما طالعتها لأول مرة .. هذه ال حم طسم ال م كهيص .. ق .. ص .. ترى ماذا قلت لنفسك وأنت تقرأها؟ اكتفى بأن يمح شفتيه في لامبالاة ويقول في غمضة مبتورة:

— يعنى ..

— يعنى ماذا ..

— يعنى .. أى كلام يضحك به النبي عليكم ..

— حسنا دعنا نختبر هذا الكلام الذى تدعى أنه كلام فارغ والذى تصورت أن النبي يضحك به علينا ..

ودعنا نأخذ سورة صغيرة بسيطة من هذه السور .. سورة ق مثلا .. ونجرب تجربة .. فنعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها ٥٧ قافا .. ثم نأخذ السورة التالية وهي سورة الشورى وهي ضعفها في الطول وفي فواتحها حرف ق أيضا .. وسنجد أن فيها هي الأخرى ٥٧ قافا ..

هل هي صدفة .. لنجمع ٥٧ + ٥٧ = ١١٤ عدد سور

القرآن .. هل تذكر كيف تبدأ سورة ق .. وكيف تختتم ..
في بدايتها « ق والقرآن المجيد » .. وفي ختامها .. « فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد » .. وكأنها هي اشارات بأن ق ترمز
للقرآن .. ومجموع القافات ١١٤ وهي مجموع سور
القرآن » .

قال صاحبي في لامبالاة :
- هذه أمور من قبيل الصدف .

قلت في هدوء :
- سنمضي في التجربة ونضع سور القرآن في العقل
الالكتروني ونسأله أن يقدم لنا احصائية بمعدلات توارد حرف
القاف في جميع السور .

قال وقد توترت أعصابه وتيقظ تماما :
- وهل فعلوها ؟

قلت في هدوء :

- نعم فعلوها .

- وماذا كانت النتيجة .

- قال لنا العقل الالكتروني ان أعلى المتوسطات والمعدلات
موجودة في سورة ق وان هذه السورة قد تفوقت حسابيا على
كل المصحف في هذا الحرف .. هل هي صدفة أخرى .
- غريب .

- وسورة الرعد تبدأ بالحرف ال م ر قدم لنا العقل
الالكتروني احصائية بتوارد هذه الحروف في داخل السور
كالآتي :

ا ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٣٧ مرة

هكذا وفي ترتيب تنازلي ا ثم ل ثم م ثم ر بنفس الترتيب
الذي كتبت به ال م ر تنازليا ثم قام العقل الالكتروني باحصاء

معدلات توارد هذه الحروف في المصحف كله . . والفى الينا
بالقنبلة الثانية . . أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف
هى فى سورة الرعد . . وأن هذه السورة تفوقت حسابيا فى
هذه الحروف على جميع المصحف .

نفس الحكاية فى ا ل م البقرة .

ا وردت ٤٥٩٢ مرة

ل وردت ٣٢٠٤ مرات

م وردت ٢١٩٥ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م .

ثم يقول لنا العقل الالكترونى أن هذه الحروف الثلاثة لها

تفوق حسابى على باقى الحروف فى داخل سورة البقرة .

نفس الحكاية فى ا ل م سورة آل عمران .

ا وردت ٢٥٧٨ مرة

ل وردت ١٨٨٥ مرة

م وردت ١٢٥١ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م وهى تتوارد فى السورة

بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

نفس الحكاية ا ل م سورة العنكبوت .

ا وردت ٧٨٤ مرة

ل وردت ٥٥٤ مرة

م وردت ٣٤٤ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م وهى تتوارد فى السورة

بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

نفس الحكاية فى ا ل م سورة الروم .

ا وردت ٥٤٧ مرة

ل وردت ٣٩٦ مرة

م وردت ٣١٨ مرة

بنفس الترتيب التنازلى ا ل م ثم هى تتوارد فى السورة

بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

وفى جميع السور التى ابتدأت بالحروف ا ل م نجد أن

السور المكىة تتفوق حسابيا فى معدلاتها على باقى السور

المكية ، والمدنية تتفوق حسابيا في معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المدنية .

وبالمثل فى ا ل م ص سورة الاعراف .

يقول لنا العقل الالىكترونى أن معدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون فى سورة الاعراف ، وأنها تتفوق حسابيا على كل السور المكية فى المصحف .

وفى سورة طه نجد أن الحرف ط والحرف ه يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية . . وكذلك فى كهيعص مريم ترتفع معدلات هذه الحروف على كل السور المكية فى المصحف .

كما نجد أن جميع السور التى افتتحت بالحروف حم . . اذا ضمت الى بعضها فإن معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على كل السور المكية فى المصحف .

وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والاعراف « ا ل م ص » ويلاحظ أنهما نزلتا متتابعتين فى الوحى . . اذا ضمتا معا تفوقتا حسابيا فى هذه الحروف على باقى المصحف .

وكذلك السور التى افتتحت بالحروف ا ل ر وهى ابراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر وأربع منها جاءت متتابعة فى توازيخ الوحى . . اذا ضمت لبعضها . . أعطانا العقل الالىكترونى أعلى معدلات فى نسبة توارد حروفها ا ل ر على كل السور المكية فى المصحف .

أما فى سورة يس فائنا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست . . لأن ترتيب الحروف انعكس ، فالياء فى الاول يس « بعكس الترتيب الابجدى » .

ولهذا نرى أن توارد الحرف ي والحرف س فى السورة هو أقل من توارد ه فى جميع المصحف مدنيا ومكيا .
فالدلالة الاحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست .
كان صاحبى قد نسكت تماما .

قلت وأنا أطمئنه :

— أنا لا أقول هذا الكلام من عند نفسى وإنما هى دراسة

قام بها عالم مصرى فى امريكا هو الدكتور رشاد خليفة ..
وهذا الكتاب الذى بين يديك يقدم لك هذه الدراسة مفصلة .

Miracle of the Quran

Islamic Productions international in St. Louis mo

وقدمت اليه كتابا انجليزيا مطبوعا فى امريكا للمؤلف .
أخذ صاحبه يقلب الكتاب فى صمت .
قلت :

— لم تعد المسألة صدفة .. وانما نحن امام قوانين محكمة
وحروف محسوبة كل حرف وضع بميزان ورحمت أتلو عليه
من سورة الشورى .

(الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) ١٧ - الشورى
واى ميزان .. نحن هنا امام ميزان يدق حتى يزن الشعرة
والحرف .. اظن ان فكرة النبى الذى يؤلف القرآن ويقول
لنفسه سلفا سوف أولف سورة الرعد من حروف ال م ر
وأورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقى الكتاب وهو
لم يؤلف بعد الكتاب مثل هذا الظن لم يعد جائزا .. وأين
هذا الذى يحصى له هذه المعدلات وهى مهمة لا يستطيع ان يقوم
بها الا عقل الكترونى ولو تكفل هو بها فانه سيقضى بضع سنين
ليحصى الحروف فى سورة واحدة يجمع ويطرح بعلوم عصره
وهو لا يعرف حتى علوم عصره وهل سيؤلف او يشتغل عدادا
للحروف .

نحن هنا امام استحالة .

فاذا عرفنا أن القرآن نزل مفرقا ومقطعا على ٢٣ سنة ..
فانا سوف نعرف أن وضع معدلات احصائية مسبقة بحروفه
هى استحالة أخرى .. وأمر لا يمكن أن يعرفه الا العليم الذى
يعلم كل شئ قبل حدوثه والذى يحصى بأسرع وادق من كل
العقول الالكترونية .. الله الذى أحاط بكل شئ علما ..
وما هذه الحروف المقطعة فى فواتح السور الا رموز علمه بثها

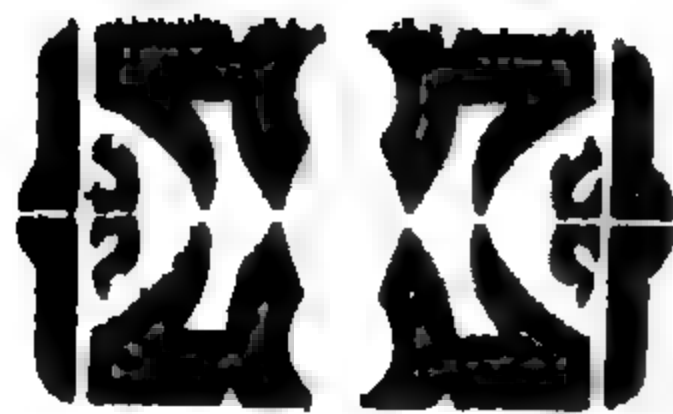
في تضاعيف كتابه لنكتشفها نحن على مدى الزمان .
(سنثريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق) ٥٢ فصلت

ولا أقول ان هذه كل أسرار الحروف . . بل هي مجرد بداية
لا أحد يدري الى أي آفاق سوف توصلنا .

وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفي نفيا باتا شبهة
التأليف .

ثم هي تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل حرف
فلا يجرؤ أحدنا أن يقول انه أمام . . أي كلام . . الا ترى
يا صاحبي أنك أمام كلام لا يمكن أن يكون أي كلام .

ولم يجب صاحبي ، وانما ظل يقلب الكتاب الانجليزي
ويتصفحه ثم يعود فيقلبه دون أن ينطق بحرف .



● المعجزة

قال صاحبى :

— لا أفهم كيف يجتوز للرب الرحيم الذى تصفونه بأنه رءوف ودود كريم عفو غفور .. كيف يمكن لهذا الرب أن يأمر نبيه الخليل المقرب ابراهيم بأن يذبح ولده .. ألا ترى معنى أن هذه مسألة صعبة التضديق ؟ —
— القصة تدل من سياقها وأحداثها على أن مراد الله من ابراهيم لم يكن ذبح ابنه بدليل أن الذبح لم يحدث .. وإنما كان المراد أن يذبح ابراهيم شغفه الزائد بابنه ومحبته الزائدة لابنه وتعلقه الزائد بابنه .. إذ لا يجوز أن يكون فى قلب النبي تعلق بغير الله .. لا دنيا ولا ولد ولا جاه ولا سلطان .. كل هذه الامور لا يصح أن يتعلق بها قلب النبي .. وكما هو معلوم كان اسماعيل قد جاء لأبيه ابراهيم على كبر وعلى شيخوخة .. فشغف به الشيخ وتعلق به .. فجاء امتحان الله لنبيه ضروريا .. وما حدث فى القصة يدل على سلامة هذا التفسير .. فما أن صمدع النبي لأمر ربه وأشرع سكينه ليذبح ولده حتى جاء أمر السماء بالفداء .

— وما رأيك في معجزات ابراهيم العجيبة ودخوله النار دون أن يحترق .. وما فعله موسى من بعده حينما أخرج من عصاه ثعبانا ثم حينما شق بهذه العصا البحر ثم حينما أخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء .. ألا تبدو هذه الامور وكأنها عرض بهلواني في سيرك .. وكيف يدلل الله على قدرته وعظمته بهذه البهلوانيات التي هي في حد ذاتها .. صنوف من اللامعقول .. وأمثلة من خرق النظام .. ألا يبدو أن البرهان الاقوى على عظمة الله هو النظام والعقل والانضباط والقوانين في سريانها الجميل في الكون دون أن تخرق .

— لقد فهمت المعجزة خطأ .. وتصورتها خطأ .
المعجزة في تصورك عمل بهلواني وخرق للقانون ولا معقول ولكن الحقيقة غير ذلك .

ودعني أقرب الموضوع الى ذهنك بمثل .. لو أنه قدر لك أن تعود ثلاثة آلاف سنة الى الوراء ثم تدخل على فرعون مصر في ذلك الزمن البائد ومعك ترانزستور في حجم علبة الثقاب يتكلم ويفنى من تلقاء نفسه .. ترى ماذا سيكون حال فرعون وحاشيته — سيهتفون في ذهول بلا شك بمعجزة .. سحر .. لا معقول .. خرق لجميع القوانين .. ولكننا نعلم الآن انه لا اعجاز في الموضوع ولا سحر ولا خرق لأي قانون .. بل ان ما يحدث في داخل الترانزستور هو أمر يجري حسب قوانين في علم الالكترونياات .. وانه معقول تماما . وسيكون الامر اعجب لو أنك دخلت على ملك بابل وفي يدك تليفزيون ينقل الصور من بلاد الروم .. وسوف يصفق ملك آشور عجباً لو أنك أدت له أسطوانة بلاستيك فتكلمت .

بل ان التاريخ ليحفظ لنا قصة مماثلة حينما نزل المستعمرون افريقيا .. وحطت أول طائفة لهم في الغابة وسط البدائيين .. ماذا حدث .. سجد الزوج العراة على وجوههم ودقوا الطبول وذبحوا القرابين وظنوا أن الله نزل من سماواته وتصوروا فيما حدث خرقاً لجميع القوانين .. مع أننا نعلم الآن ان الطائفة تطير بقانون وتنزل بقانون وأنها مصنوعة حسب

القوانين الهندسية المحكمة .. وان طيراتها امر معقول تماما -
وانها لا تخرق قانون الجاذبية .. وانما تتجاوز هذا القانون
بقانون آخر هو قانون الفعل ورد الفعل ، نحن اذن امام تفاضل
قوانين وليس امام خرق قوانين .. والماء يصعد في سباق
النخلة ضد الجاذبية ليس بخرق هذه الجاذبية وانما بمجموعة
قوانين فسيولوجية تتفاضل معها .. هي قانون تماسك العمود
المائي وقانون الخاصية الشعرية وقانون الضغط الازموزي ..
وهي جميعها قوانين تؤدي الى شد الماء الى اعلى .

نحن دائما لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول وما حدث لم
يكن بهلوانيات .. وانما كانت دهشة الزوج البدائيين مردها
جهلهم بهذه القوانين .. وكذلك دهشتك امام شتى موسى
للبحر واخرجه للشعبان من العصا واحياء عيسى للموتى ودخول
ابراهيم للنار دون ان يحترق .. تصورت انها لا معقول وخرق
للقوانين وبهلوانيات .. بينما هي تجري جميعها على وفاق
قوانين الهية تتفاضل مع القوانين التي نعرفها .. وهي اذن
صنوف من النظام .. ومن المعقول .. ولكن اعلى من مداركنا
والله لا يهدم النظام بهذه المعجزات وانما يشهدنا على نظام اعلى
وقوانين اعلى وعقل اكبر من استيعابنا .

وقد وقع البهائيون في نفس غلطتك حينما رفضوا المعجزات
وتصوروا ان قبولها فيه امتهان للعقل وازدراء بالعقل فتحايلوا
على القرآن وحرفوا معانيه عن ظاهرها فموسى لم يشق البحر
بعصاه .. وانما كانت عصاه هي الشريعة التي فرقت الحق من
الباطل وبالمثل كانت يده البيضاء هي رمز ليد الخير .. وبالمثل
احياء عيسى النفوس ولم يحيى الاجساد .. وفتح المعقول ولم
يفتح العيون العمياء .. وبهذا اخرجوا القرآن عن معانيه
الحرفية الى تاويلات وتفسيرات مجازية ورمزية كلما اصطدموا
بشيء لم يعقلوه .

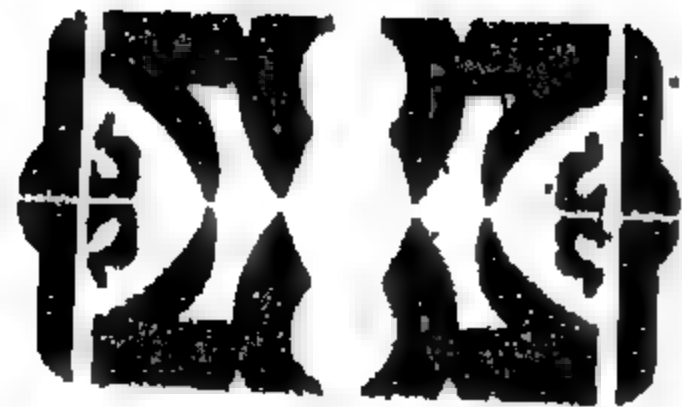
وكان هذا لانهم اخطاوا فهم المعجزة وتصوروا انها لا معقول
وخرق للقانون وهدم للنظام .. وهو نفس ما وقعت فيه .
والحق اننا نعيش في عصر لم تعد تستغرب فيه المعجزات .

وقد رأينا العسلم يأخذ بيدنا الى سطح القمر • واذا كان
العلم البشرى أعطانا كل هذا السلطان ، فالعلم الالهى المدنى
لا شك يمكن أن يمدنا بسلطان أكبر •

استمع الى هذه الآية الجميلة :

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا •• لا تنفذون الا بسلطان)
٣٣ - الرحمن

وهذا هو السلطان •• العلم البشرى •• واعظم منه
العلم الالهى •



● معنى الدين

قال صاحبى :

— اسمع .. اذا كانت عندكم جنة كما تقولون .. فانا اول واحد سوف يدخلها. فانا اكثر دينا من كثير من دعائكم من اصحاب اللحى والمسايح اياهم .
— اكثر دينا .. ماذا تعنى بهذا .

— اعنى انى لا اؤذى احدا ولا اسرق ولا اقتل ولا ارتشى ولا احسد ولا احقد ولا اضرر سوءا لمخلوق ولا انوى الا الخير ولا اهدف الا الى النفع العام .. اصبحو وانام بضمير مستتر يع وشعار حياتى هو الاصلاح ما استطعت .. اليس هذا هو الدين الا تقولون عندكم ان الدين المعاملة .

— هذا شيء له اسم آخر .. اسمه حسن السير والسلوك .. وهو من مقتضيات الدين ولكنه ليس الدين .. انك تخلط بين الدين وبين مقتضياته .. والدين ليس له الا معنى واحد هو معرفة الاله .. ان تعرف الهك بحق المعرفة ويكون بينك وبين هذا الاله سلوك ومعاملة .. ان تعرف الهك عظيما جليلا قريبا مجيبا يسمع ويرى فتدعوه واكما ساجدا خاشعا خشوع العبد

للرب . . هذه المعاملة الخاصة بينك وبين الرب هي الدين . .
 أما حسن معاملتك لآخوانك فهي من مقتضيات هذا الدين وهي
 في حقيقة الامر معاملة للرب أيضا .
 يقول نبينا عليه الصلاة والسلام :
 « ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل » .
 فمن أحب الله أحب مخلوقاته وأحسن اليها . . أما اذا
 اقتصرت معاملاتك على الناس لا تعترف الا بهم ولا ترى غيرهم
 ولا ترى غير الدنيا فانت كافر تماما وان احسنت السير
 والسلوك مع هؤلاء الناس . . انما يدل حسن سيرك وسلوكك
 على الفطنة والكياسة والسياسة والطبع اللبيب وليس على
 الدين . فانت تريد ان تكسب الناس لتنجح في حياتك وحسن
 سيرك وسلوكك ذريعة الى كسب الدنيا فحسب . . وهذه
 طباع أكثر انكفار أمثالك .
 - صدقني أنا أشعر أحيانا بأن هناك قوة .
 - قوة ! . .
 - نعم ثمة قوة منجھولة وراء الكون . أنا أومن تماما بأن
 هناك قوة .
 - وما تصور لك هذه القوة . . اتصورها كائنا يسمع ويرى
 ويعقل ويتعهد مخلوقاته بالرعاية والهداية وينزل لهم الكتب
 ويبعث لهم الرسل ويستجيب لصرخاتهم وتوسلاتهم .
 - بصراحة أنا لا أصدق هذا الكلام ولا أتصوره وأكثر من
 هذا أراه ساذجا لا يليق بهذه القوة العظيمة .
 - اذن فهي قوة كهربغناطيسية عمياء تسوق الكون في عبثية
 لا خلاق لها . . وهذه هي الصفة التي تليق بقوتك العظيمة .
 - ربما .
 - بنس ما تصورت الهك . . خلق لك البصر فتصورته
 أعمى . . وخلق لك الرشء فتصورته عابثا أخرج . . والله انك
 الكافر بعينه وأو أحسنت السير والسلوك مدى الدهر . .
 وان أعمالك الصالحة مصيرها الاحباط يوم الحساب وأن تشدد
 هباء منثورا .

— ألا يكون هذا ظلما .

— بل هو عين العدل . . فقد تصورت هذه الاعمال من ذاتك ليس وراءها الهادي الذي هداك والرشيد الذي أرشسك . . فظلمت الهك وأنكرت فضله وهذا هو الفرق بين طيبات المؤمنين وطيبات الكافر اذا استوى الاثنان في حسن السير والسلوك الظاهر . . فكلاهما قد يبنى مستشفى لعلاج المرضى . . فيقول الكافر . . أنا بنيت هذا المستشفى العظيم للناس .

ويقول المؤمن : وفقني ربى الى بناء هذا المستشفى للناس . وما كنت الا واسطة خير . . وما اكبر الفرق . . واحد أسند الفضل لصاحب الفضل ولم يبق لنفسه فضلا الا مجرد الوساطة وحتى هذه يشكر عليها الله ويقول أحمدك يا ربى أن جعلتني سببا . . فارق كبير بين الكبرياء والتواضع . . وبين العلو وخفض الجناح . . بين الجبروت والوداعة . . ولهذا فأنتم في ديارتكم الوثنية لهذه القوة الكهرمغنطيسية العمياء لا تصلون ولا تسجدون .

— ولماذا تصل لمن تصل . . انى لا أرى لصلاتكم هذه أى حكمة . . ولماذا كل تلك الحركات أما كان يكفي الخشوع .
— حكمة الصلاة أن يتحطم هذا الكبرياء المزيف الذى تعيش فيه لحظة سجودك وملامسة جبهتك التراب وقولك بلسانك وقلبك : « سميعان ربى الاعلى » . . وقد عرفت مكانك أخيرا وانك أنت الادنى وهو الاعلى . . وانك تراب على التراب وهو ذات منزهة من فوق سبع سماوات .

أما لماذا الحركات فى الصلاة ولماذا لا تكتفى بالخشوع القلبى فالى أسألك بدورى ولماذا خلق لك الجسد أصلا . . ولماذا لا تكتفى بالحلب الشفوى فتريد أن تعانق وتقبل . . لماذا لا تكتفى بالكرم الشفوى فتجود باليد والمال . . بل خلق الله لك الجسد ليفضح قلبك . . فما كان فى قلبك بحسنى فاض على جسدك اذا كان خشوعك صادقا فاض على جسدك فركعت وسجدت . . وان كان خشوعك زائفا لم يتعد لسانك .
— هل تعتقد أنك ستدخل الجنة .

- كلنا سنسرد النار ثم ينجى الله الذين اتقوا ، ولا أعرف
هل اتقيت أم لا • يعلم هذا عالم القلوب وكل عمل اللاسف
حبر على ورق • • وقد يعلم العمل ولا تعلم النية • • وقد
تسلم النية ولا تعلم الاخلاص • • فيظن الواحد منا أنه يعمل
الخير لوجه الله وهو يعمل للشهرة والدنيا والجاه بين الناس • •
وما أكثر ما يخدع الواحد منا في نفسه ويدخل عليه الشيطان
وحسن الظن والاطمئنان الكاذب من حيث لا يدري • •
نسأل الله السلامة •

- وهل يستطيع الانسان أن يكون مخلصا ؟

- لا يملك ذلك من تلقاء نفسه وإنما الله هو الذى يخلص
القلوب ولهذا يتكلم القرآن في أكثر الآيات عن المخلصين - يفتح
اللام - زعيم المخلصين بكسر اللام • ولكن الله وعد بأن « يهدي
اليه من يشاء » أى كل من يؤوب ويرجع اليه • • فعليك
بالرجوع اليه • • وعليه الباقي •



● فزنا بسعادة الدنيا وفرزتم بالأوهام

قال صاحبي .. وكانت في نبرته فرحة رجل منتصر :
— مهما اختلفنا ومهما طال بنا الجدل فلا شك أننا خرجنا
من معركتنا معكم منتصرين فقد فزنا بسعادة الدنيا وخرجتم
أنتم ببضعة أوهام في رؤوسكم .. وماذا يجدي الكلام وقد
خرجنا من الدنيا بنصيب الأسد .. فلنا السهرة والسكره
والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التي لا يعكرها خوف
الحرام .. ولكم الصيام والصلاة والتسابيح وخوف الحساب ..
من الذي ربح .

— هذا لو كان ما ربحتموه هو السعادة .. ولكن لو
فكرنا معا في هدوء لما وجدنا هذه الصورة التي وصفتها عن
السهرة والسكره والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات
التي لا يعكرها خوف الحرام .. لما وجدنا هذه الصورة
الا الشقاء بعينه .
— الشقاء .. وكيف ؟

— لانها فى حقيقتها عبودية لغرائز لا تشبع حتى تجوع
واذا اتخمتها أصابها الضجر والملال وأصابك أنت البلادة
والحمول .. هل تصلح أحضان امرأة لتكون مستقر سعادة
والقلوب تتقلب والهوى لا يستقر على حال والغواني يغرهن
الثناء .. وما قرأنا فى قصص العشاق الا التعاسة فاذا تزوجوا
كانت التعاسة اكبر وخيبة الامل اكبر لان كلا من الطرفين
سوف يفتقد فى الآخر الكمال المعبود الذى كان يتخيله ..
وبعد قضاء الوطر وفتور الشهوة يرى كل واحد عيوب الآخر
بعدسة مكبرة .. وهل الثراء الفاحش الا عبودية اذ يضع الغنى
نفسه فى خدمة أمواله وفى خدمة تكثيرها وتجميعها وحراستها
فيصبح عبدها بعد أن كانت خادمته .. وهل السلطة والجاه
الا مزلق الى الفرور والكبر والطفیان .. وهل راكب السلطان
الا كراكب الأسد يوما هو راكبه ويوما هو مأكوله .. وهل
الحمر والسكر والمخدرات والقمار والعريضة والجنس بعيدا عن
العيون وبعيدا عن خوف الحرام سعادة .. وهل هى الا أنواع
من الهروب من العقل والضمير وعطش الروح ومسئولية
الانسان بالاغراق فى ضرام الشهوة وسعار الرغبات ..
وهل هو ارتقاء أم هبوط الى حياة القرود وتسافد البهائم
وتناكح السوائم .. صدق القرآن اذ يقول عن الكفار ..
أنهم :

(يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)

١٢ - محمد

فهو لم ينكر أنهم يتمتعون ولكن كما تتمتع الانعام - وكما
ترعى السوائم .. وهل هذه سعادة - وهل حياة الشهوة تلك
الا سلسلة من الشبق والتوترات والجوع الأكال والتخمة
الحانقة لا تمت الى السعادة الحقبة بسبب .. وهل تكون السعادة
الحقة الا حالة من السلام والسكينة النفسية والتحرر الروحي
من كافة العبوديات .. وهل هى فى تعريفها النهائى الا « حالة
صلح بين الانسان ونفسه وبين الانسان والآخرين وبين
الانسان والله » .. وهذه المصالحة والسلام والامن النفسى

لا تتحقق الا بالعمل . . بأن يضع الانسان قوته وماله وصحته
فى خدمة الآخرين وبأن يحيا حياة الخير والبر نية وعملا وأن
تتصل العلاقة بيده وبين الله صلاة وخشوعا فيزيده الله سكينه
ومددا ونورا . . وهل هذه السعادة الا الدين بعينه . . ألم يقل
الصوفى لا بس الحرقة . . نعمن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا
عليها بالسيوف . . والذين عرفوا تلك اللذة . . لذة الصلوة
بالله والصلح مع النفس . . يعلمون أن كلام الصوفى على حق .

سب ألم تكن مثلنا من سنوات تسكر كما نسكر وتلهو كما
تلهو وتسعد مسله السعادة الحيوانية التى تسعدنا وتكتب
الكفر بعينه فى كتابك الله والانسان فتسبق به الحاد الملاحدة
فماذا غيرك من النقيض الى النقيض .

— سبحانه يغير ولا يتغير .

— أعلم أنك تقول أن كل شيء بفضل الله . . ولكن ماذا
كان دورك . . وماذا كان سعيك ؟

— نظرت حولى فرأيت أن الموت ثم التراب نكتة وعبثا وهزلا
ورأيت العالم حولى كله محكما دقيقا منضبطا لا مكان ليه
للهزل ولا للعبث . . ولو كانت حياتى عبثا كما تصور العاشقون
ولهايتها لا شيء . . فلماذا أبكى ولماذا أندم ولما أتجرق والتهب
شوقا الى الحق والعدل والعدل هذه القيم بالدم والحياة .

رأيت النجوم تجرى فى افلاكها بقانون . . ورأيت الحشرات
الاجتماعية تتكلم والنباتات ترى وتسمع وتحس . . ورأيت
الحيوانات لها اخلاق . . ورأيت المخ البشرى عجيبه العجائب
يتألف من عشرة آلاف مليون خط عصبى تعمل كلها فى وقت
واحد فى كمال معجز . . ولو حدث بها عطل هنا أو هناك لجاء فى
اثره الشلل والعمى والخرس والتخليط والهلديان وهى أمور
لا تحدث الا استثناء . . فما الذى يحفظ لهذه الآلة الهائلة
سلامتها ومن الذى زودها بكل تلك الكمالات .

ورأيت الجمال في ورقة الشجر وفي ريشة الطاووس وجناح
الفراش وسمعت الموسيقى في صدح البابل وسقسقة العصافير
وحيشما وجهت عيني رأيت رسم رسام وتصميم مصمم وإبداع
يد مبدعة .

ورأيت الطبيعة بناء محكما متكاملا تستحيل فيها الصدفة
والعشوائية . . بل كل شيء يكاد يصرخ . . دبرني مبدع . .
وخلقني مبدع قدير .

وقرات القرآن فكان له في سمعي رنين وايقاع ليس في
مألوف اللغة وكان له في عقلي انبهار . . فهو يأتي بالكلمة
الانخيرة في كل ما يتعرض له من أمور السياسة والاخلاق
والتشريع والكون والحياة والنفوس والمجتمع رغم تقادم العهد
على نزوله أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . . وهو يوافق كل
ما يستجد من علوم رغم أنه أتى على يد رجل بدوي أمي لا يقرأ
ولا يكتب في أمة متخلفة بعيدة عن نور الحضارات . . وقرأت
سيرة هذا الرجل وما صنع . . فقلت . . بل هو نبي . .
ولا يمكن أن يكون إلا نبي . . ولا يمكن لهذا الكون البديع
إلا أن يكون صنع الله القدير الذي وصفه القرآن . . ووصف
أفعاله .

قال صاحبي . . بعد أن إصغى باهتمام الى كل ما قلت . .
وراح يلمس الشفرة الأخيرة :

— لماذا يكون الحال لو أخطأت حساباتك وانتهيت بعد
عمر طويل الى موت وتراب ليس بعده شيء ؟
— لن أكون قد خسرت شئنا فقد عشت حياتي كأعرض
وأسعد وأحفل ما تكون الحياة . . ولكنكم أنتم سوف تخسرون
كثيرا لو أصابت حساباتي وصدقت توقعاتي . . وانها لصادقة
سوف تكون مفاجاتكم هائلة يا صاحبي .

ونظرت في عمق عينيه وأنا أتكلم فرأيت لأول مرة بحيرة من
الرعب تنداح في كل عين ورأيت أجفانه تطرف وتختلج .
كانت لحظة عابرة من الرعب . . ما لبث أن استعاد بعدها

توازنه .. ولكنها كانت لحظة كافية لأدرك أنه بكل غروره
وعناده ومكابزته واقف على جرف من الشك والخواه والفراغ
وممسك بلا شيء .

قال لي بنبرة حاول أن يشحنها باليقين :

— سوف ترى أن التراب هو كل ما ينتظرك ومنتظرنا .

— هل أنت متأكد ؟

وللمرة الثانية انداحت في عينيه تلك البحيرة من الرعب .

قال وهو يضغط على الحروف وكأنما يخشى أن تخونه نبراته

— نعم ...

قلت :

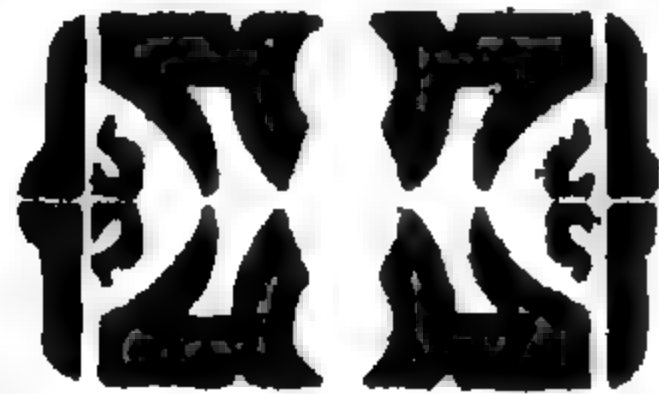
— كذبت .. فهذا أمر لا يمكن أن نتأكد منه أبدا .

وحينما كنت أعود وحدي تلك الليلة بعد حوارنا الطويل
كنت أعلم أنني قد نكأت في نفسيه جرحا .. وحفرت تحت
فلسفته المتهاوية حفرة سوف تتسع على الأيام ولن يستطيع
منطقه المتهاافت أن يردمها .

قلت في نفسي وأنا أدعو له .. لعل هذا الرعب ينجيه ..
فمن سد على نفسه كل منافذ الحق بعناده لا يبقى له إلا الرعب
منفذا .

وكنت أعلم أنني لا أملك هدايته .. ألم يقل الله لنبيه ..
(أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

ولكني كنت أتمنى له الهداية وأدعو له بها فليس أسوأ من
الكفر ذنبا ولا مصيرا .



الفهرس

- لم يلد ولم يولد ٧
- اذا كان الله قدر علينا افعالنا فلماذا يحاسبنا . . . ١٢
- لماذا خلق الله الشر ٢٠
- وما ذنب الذي لم يصسله قرآن ٢٤
- الجنة والنار ٢٩
- هل الدين افيون ٣٥
- وحكاية الاسلام مع المرأة ٤٥
- الروح ٥٢
- الحمير ٦١
- هل مناسك الحج وثنية ٦٥
- لماذا لا يكون القرآن من تأليف محمد ٦٨
- القرآن لا يمكن ان يكون مؤلفا ٨١
- شكوك ٨٩
- موقف الدين من التطور ٩٦
- كلمة لا اله الا الله ١٠٤
- كهيص ١٠٨
- المعجزة ١١٤
- معنى الدين ١١٨
- فزنا بسعادة الدنيا وفزتم بالاوهم ١٢٢

صدر للمؤلف

- ١ — الله والانسان — مجموعة مقالات كتبت في صيف ١٩٥٥ .
- ٢ — أكل عيش — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٣ — ١٩٥٤ .
- ٣ — عنبر ٧ — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ — ١٩٥٧ .
- ٤ — شلة الأنس — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ — ١٩٦٤ .
- ٥ — رائحة الدم — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ — ١٩٦٦ .
- ٦ — ابليس — دراسة كتبت في عام ١٩٥٧ — ١٩٥٨ .
- ٧ — لغز الموت — دراسة كتبت في عام ١٩٥٨ — ١٩٥٩ .
- ٨ — لغز الحياة — دراسة كتبت في عام ١٩٦٧ .
- ٩ — الأحلام — دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١٠ — اينشتين والنسبية — دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١١ — في الحب والحياة — مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ — ١٩٦٦ .
- ١٢ — يوميات نص الليل — مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ — ١٩٦٦ .
- ١٣ — المستحيل — رواية كتبت في عام ١٩٦٠ .
- ١٤ — الأفيون — رواية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ١٥ — العنكبوت — رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥ .
- ١٦ — الخروج من التسابوت — رواية كتبت في أواخر عام ١٩٦٥ .

- ١٧ — رجل تحت الصفر — رواية كتبت في عام ١٩٦٦ .
- ١٨ — الاسكندر الأكبر — مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ .
- ١٩ — الزلزال — مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ .
- ٢٠ — الانسان والظل — مسرحية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ٢١ — غوما — مسرحية كتبت في شتاء ١٩٦٨ .
- ٢٢ — الشيطان يسكن في بيتنا — مسرحية كتبت في
أبريل ١٩٧٣ .
- ٢٣ — الغابة — رحلة الى أفريقيا الاستوائية. كتبت في
أكتوبر ١٩٦٣ .
- ٢٤ — مغامرة في الصحراء — رحلة الى الصحراء الكبرى في
صيف ١٩٦٩ .
- ٢٥ — المدينة (او حكايات مسافر) — مجموعة سفرات
الى أوروبا بين ١٩٥٦ — ١٩٦٨ .
- ٢٦ — اعترفوا لي — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٥٦ — ١٩٥٩ .
- ٢٧ — ٥٥ مشكلة حب — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٦٠ — ١٩٦٦ .
- ٢٨ — اعترافات عشاق — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٥٦ — ١٩٦٦ .
- ٢٩ — القرآن محاولة لفهم عصرى — دراسة كتبت في
شتاء ١٩٦٩ .
- ٣٠ — رحلتى من الشك الى الايمان — دراسة كتبت في
عام ١٩٧٠ .
- ٣١ — الطريق الى الكعبة — رحلة حج كتبت في عام ١٩٧١ .
- ٣٢ — الله — دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢ .
- ٣٣ — التوراة — دراسة كتبت في أواخر ١٩٧٢ .
- ٣٤ — الشيطان يحكم — مجموعة مقالات كتبت بين
١٩٦٥ — ١٩٧٠ .
- ٣٥ — رايث الله — دراسة كتبت في صيف ١٩٧٣ .
- ٣٦ — الروح والجسد — مجموعة مقالات كتبت في
شتاء ١٩٧٣ .

- ٣٧ — حوار مع صديقي الملحد — مجموعة مقالات كتبت في
مارس ١٩٧٤ .
- مجموعات المؤلفات الكاملة :
- ٣٨ — قصص مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٣٩ — روايات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٤٠ — مسرحيات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٤١ — رحلات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .

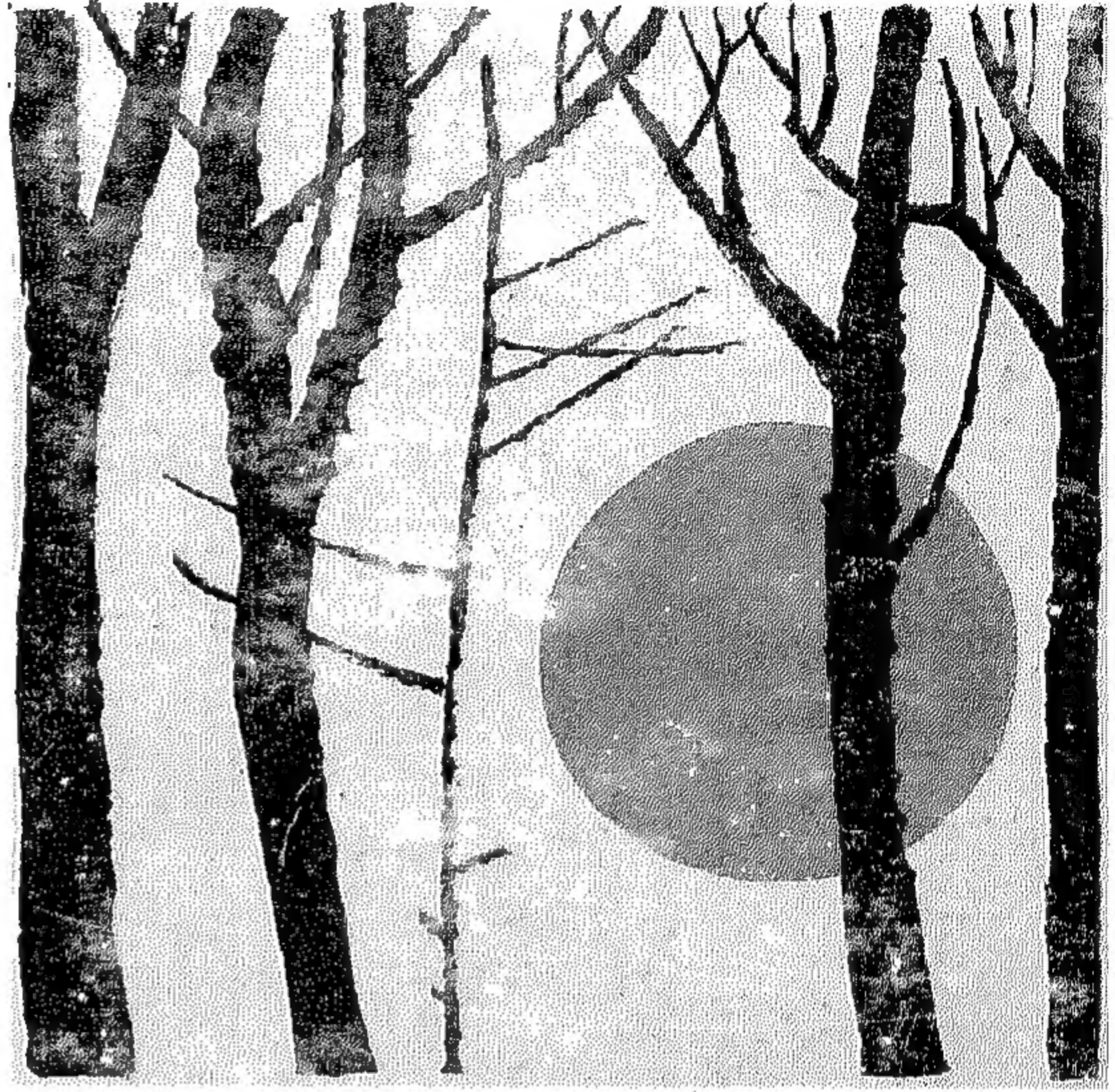
حازت روايته « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة عام ١٩٧٠

حوار مع صديقي المخلص

مصطفى محمود

الثمن ٥٠ قرشاً

طبع بمطابع روز اليوسف



1

Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية



0230318

• الثمن

طبع بمطابع